

11

ذكريات

شارلوك هولمز

تأليف : آرثر كونان دويل

وثائق المعاهدة البحرية

The Adventure of The Naval Treaty

نشرت للمرة الأولى في مجلة ستراند تشرين 1893

ذكريات

ترجمة : سليمان حسون

رواد المعرفة



ذكريات شارلوك هولمز

1- ذو الغرة الفضية
2- لغز الطرد البريدي
3- الوجه الأصفر
4- لغز موظف البورصة
5- لغز سفينة غلوريا سكوت
6- طقس موسغريف
7- لغز بلدة ريغيت
8- لغز الرجل الأحدب
9- المريض المقيم
10- المترجم اليوناني
11- وثائق المعاهدة البحرية
12- المشكلة الأخيرة

مغامرات شارلوك هولمز

1- فضيحة في بوهيميا
2- عصبة ذوي الشعر الأحمر
3- الهوية الغامضة
4- لغز وادي بوسكومب
5- بذور البرتقال الخمس
6- الرجل ذو الشفة المقلوبة
7- مغامرة العقيق الأزرق
8- مغامرة الشريط المرقط
9- مغامرة إبهام المهندس
10- مغامرة النبيل الأعزب
11- مغامرة تاج الزمرد
12- مغامرة منزل الأشجار النحاسية

ISBN 978-9933-14-813-3


رواد المعرفة للنشر والتوزيع
دولة الكويت - جوال: 0096590088113
Email: rawadalmarefa@hotmail.com

الطبعة الثانية
2015م - 1436هـ

ذكريات شارلوك هولمز

The Adventure of The Naval Treaty

وثائق المعاهدة البحرية

تأليف: آرثر كونان دويل
ترجمة: سليمان حسون

أجيال الغد
سورية - دمشق - هاتف: 00963 11 2262422 / 2256733
ص.ب: 31453 - agyalalgadsyr@gmail.com
أشرف على التنفيذ الفني والطباعي دار الحافظ
daralhafez.net

11

ذكريات شارلوك هولمز

The Adventure of The Naval Treaty

وثائق المعاهدة البحرية

تأليف: آرثر كونان دويل

نشرت للمرة الأولى في مجلة ستراند
تشرين 1893

ترجمة: سليمان حسون
مراجعة: لينا حجازي

مُقدِّمَةٌ

تفوَّقت شخصية شارلوك هولمز على شهرة مخترعها سير آرثر كونان دويل وتجاوزت شهرتها ليس فقط لندن والجزيرة البريطانية، بل بلغت أقاصي العالم مع ترجمة أعمال ومغامرات هولمز إلى كل لغات العالم تقريباً. فلم يعد أحد من الشَّبان أو الشَّابات إلا ويعرف من هو ذلك المحقق اللامع الذّكاء الذي يعير انتباهاً إلى أدق التَّفاصيل عندما يضع قضية ما تحت مجهر فحصه الدَّقيق. ومن منا لا يذكر براعة هولمز في فك طلاسم أعقد الألغاز وأشدها غموضاً بطريقة تحليله المنطقية الشَّهيرة. تعتبر شخصية هولمز غير الحقيقية طبعاً واحدةً من أكثر الشَّخصيات تأثيراً في القراء خلال القرن العشرين نظراً لمخاطبتها عناصر أساسية في شخصية أي إنسان لتحفيز قدراته العقلية، وتفكيره من أجل الوصول إلى حل كل لغز اشتركت فيه. وكأنَّها (أي شخصية هولمز) كانت تحث القارئ دوماً وتحفزه للوصول إلى الحقيقة، أو حل اللّغز المطروح بشكلٍ يجعل القارئ يضطر لاستخدام كل ملكاته الفكريَّة والعقلية للوصول مع هولمز وواطسون إلى حقيقة الأمر، أو حتَّى أن يسبقهما في التَّوصل للحقيقة. الطَّريف في شخصية هولمز أنَّها وعلى الرغم من أنَّها تقدِّم

لنا شخصاً من لندن في نهاية القرن التَّاسع عشر إلا أنَّها من خلال طريقة تعاملها مع ما حولها ومن حولها تبدو شخصية أكثر معاصرة وكأنَّ كونان دويل نجح بتحويلها إلى شخصية خارج إطار زمان محدد.

الأهم من شخصية هولمز التي تتسيَّد كل قصص كونان دويل هي شخصيَّة كاتبها التي تشي بشخص عاش حياته كتجربةٍ عظيمةٍ تمكَّن إلى أقصى حد في تصويرها من خلال شخصية هولمز، أحياناً وشخصية د. واطسون بصورةٍ أكبر وأكثر جلاء. كما تمكّن الفنان سيدني باجيت من ابتداع صورة نمطية محدَّدة ومشوِّقة للسيد هولمز في أذهاننا، مع مواكبة قصص كونان دويل برسومات جميلة جعلت صورة هولمز المرتدي لقبعته المميزة. وغليونه الجميل، صورة لا تمحى من أذهاننا.

آرثر كونان دويل
مؤلف شخصيَّة «شارلوك هولمز»

ولد الطبيب والروائي البريطاني السير آرثر كونان دويل في أدنبرة باسكتلندا سنة 1859، واشتهرت الشَّخصية التي ابتدعها «شارلوك هولمز» لرجل التَّحري الذَّكي القادر على فك ألغاز الجرائم، معتمداً على امكاناته الذِّهنية وقوة الملاحظة، واتباع طريقة الملاحظة والتَّحليل والاستنتاج بالاعتماد على العلم والمنطق، هذه الشَّخصية التي أصبحت أكثر شهرة من مبتدعها.

وقد مُثلت العديد من رواياته وقصصه، وتحوَّلت إلى أفلام سينمائية وأفلام كارتونية.وقد هجر السير آرثر دويل مهنة الطّب بعد أن مارسها ثماني سنوات، واتَّجه إلى الأدب، واستطاع أن يبدع

فيه. بدأ حياته الأدبية سنة 1887 بكتابة القصص القصيرة للمجلات بهدف زيادة دخله. يقول النَّاقد كريستوفر مورلي عن شارلوك هولمز: لم يحدث أبداً أن نالت شخصيَّة روائيَّة هذا الحظ من القدرة على امتاع القرَّاء والالتصاق بهم بمثل ما نالت شخصية شارلوك هولمز. فالسير آرثر دويل بعد أن مارس مهنة الطّب في عيادته التي لم يكن يزورها إلا النُّزر اليسير من المرضى، كان يجد أوقاتاً كبيرة من الفراغ، شغلها بكتابة القصص القصيرة، والتي لم تنل حظاً من النَّجاح في البداية.

إلا أنَّه وبعد نشر روايته الأولى عن شارلوك هولمز سنة 1887 أخذ نجمه في الصّعود. وبلغت مجموع القصص والرِّوايات التي كتبها السير آرثر دويل وظهرت فيها شخصية شارلوك هولمز حوالي 60 عملاً، جُلَّها من القصص القصيرة، حتَّى أصبح السير آرثر دويل من أكثر كتَّاب القصَّة القصيرة دخلاً في عصره.

ونظراً لجهوده في دعم الحكومة البريطانية في حرب البوير «1899 – 1902» رقِّيَ إلى رتبة فارس سنة 1902.

شارلوك هولمز

شخصيَّة خياليَّة لمحقِّق من أواخر القرن التَّاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ابتكرها الكاتب والطَّبيب الاسكتلندي سير آرثر كونان دويل، ظهرت الشَّخصية لأول مرة في 1887، واشتهرت الشَّخصية بمهارتها الشَّديدة في استخدام المنطق والمراقبة لحل القضايا، وقد يكون هو أشهر محقِّق خيالي في العالم، وهو بالفعل أحد أكثر الشَّخصيَّات الأدبيَّة المعروفة بشكلٍ عالمي.

كتب كونان دويل أربع روايات، وستاً وخمسين قصَّة قصيرة من بطولة هولمز، رويت جميعها من قبل صديقه الحميم وكاتب سيرته دكتور جون هـ. واطسون، باستثناء قصَّتين رواهما هولمز بنفسه، واثنتين رويتا بضمير الغائب.

وصف شارلوك هولمز نفسه بأَنَّه محقِّقٌ استشاري خبير، يتم استدعاؤه لحل القضايا التي يثبُت أنَّها صعبة الحل جدّاً على المحققين الرَّسميين (النَّمطيين). وتُخبر القصص أنَّه كان قادراً في العديد من المناسبات على حل القضايا بدون مُغادرة بيته، دون أن تهتم القصص بتقديم الكثير من هذه القضايا الصَّغيرة، مُركِزَةً على القضايا المشوِّقة التي تتطلَّب منه القيام بتحريك ساقيه فعلاً. يتخصَّص هولمز في حل القضايا الغريبة مستخدماً قواه الاستثنائية في المراقبة والتَّحليل المنطقي.

يُصوَّر هولمز بشكلٍ دائم في الوسائط الإعلامية المختلفة مرتدياً قبعة صائد الأيائل وعباءته، مُدخناً غليوناً، وممسكاً بعدسةٍ مكبرة. ويوصف هولمز بأَنَّه سيدٌ إنجليزي من الطِّراز الفيكتوري، طويلٌ ورشيقٌ، له عينان حادَّتان دقيقتان، وأنف معقوف. بالرُّغم من قامته النَّحيلة فإنَّ قدراته البدنيَّة عالية. هو ملاكمٌ ومبارزٌ ماهرٌ، وعادة ما يتغلَّب على خصومه في المرات القليلة نسبيَّاً التي اضطر فيها للاشتباك جسديَّاً. وفي مغامرة إكليل العقيق يقول هولمز أنَّه: (يمتلك قوة استثنائية في أصابعه). أمَّا في مغامرة المنزل الفارغ فيذكر أنَّه: (يمتلك القليل من المعرفة حول المصارعة اليابانية). كان يعيش هولمز في لندن شارع بيكر عنوان 221 B.

في أوَّل قصصه، دراسة بالقرمزي، قُدِمَت بعض المعلومات عن

خلفيـة هولمز. قُـدِم في 4 آذار 1881 عـلى أنَّه طالب كيمياء مسـتقل، له مجموعـةٌ واسـعةٌ مـن الاهتمامـات الجانبيـة، وتقريبـاً؛ فـإنَّ كل هـذه الاهتمامـات تصـب في مجرى مسـاعدته ليصبـح خارقاً في حـل الجرائم. في مغامـرة أخـرى مبكِّـرة بعنـوان مغامـرة غلوريـا سـكوت، تتضـح الأسـباب التـي دعت هولـمز إلى العمـل كمحقق خـاص؛ امتـداح والد زميله في الكلية الشَّديد لمواهبه وقدراته الاستنتاجيَّة.

في مغامـرة المترجـم الإغريقي، يقـول هولمز: أنَّ جدَّته كانت شـقيقة الرَّسـام الفرنـسي فيرنو. وفي دراسـة بالقرمـزي، يضع دكتور واطسـون تقييماً لمهارات شارلوك:

ويعتـبر شـارلوك هولـمز أيضـاً مُحلِّـل شـفرات كـفء، ويقـول لواطسـون: أنـا متآلـف مـع كل أشـكال الكتابـة السريَّـة بشـكل جيد، وأنـا نفـسي مؤلـف كتـاب ثانـوي حـول الموضـوع، حللـت فيـه مائة وسـتين شـفرة منفصلـة. حُلـت إحـدى الشَّـفرات في مغامـرة الرِّجـال الرَّاقصين، التي استخدمت سلسلة من الأشكال الأوليَّة.

كـما أظهـر هولـمز نفسـه كأسـتاذ في التَّنكـر بعـد أن تنكر في أشـكال مختلفـة خـلال مغامـرات: بحـار (علامـة الأربعـة) وسـائس خيـل، ورجـل ديـن (فضيحـة في بوهيميـا)، ومدمن أفيـون (الرَّجل ذو الشـفة المقلوبـة)، ومتبطـل عـادي (مغامـرة إكليـل العقيـق)، وكاهـن إيطـالي عجـوز (مغامـرة المشـكلة الأخـيرة)، وبائـع كتـب (مغامـرة البيت الفـارغ)، وعامل تمديدات صحيَّة أو سبَّاك (مغامرة تشـارلز أغسـطس ميلفيرتـون)، ورجـل محتـضر (مغامـرة المحقِّـق المحتـضر)، وأخـيراً متسول كلب آل باسكرفيل.

ويمكـن اعتبـار هولـمز رائـداً في علـم الأدلَّـة الجنائيَّـة الحديـث

لاستخدامه هذا العلم في قضاياه، مثل: تعرفه على الفروقات بين أنواع الآلات الكاتبة لفضح الاحتيال (قضية هوية). وتوصله إلى جريمة باكتشافه قطعتين من البقايا البشرية (مغامرة صندوق الورق). وملاحظته لبقايا بارود على الضحية (مغامرة ميدان ريغاتي). وملاحظته نوع الرَّصاص المستخدَم في جريمتين (مغامرة البيت الفارغ). واستخدامه بصمة الأصابع لتحرير رجل بريء (مغامرة باني نورووود).

عاش شارلوك هولمز تاريخياً، في 221 B شارع بيكر، لندن منذ 1881، حيث أمضى العديد من سنواته المهنية مع صديقه الحميم دكتور واطسون، الذي تشارك الشقة معه قبل زواج واطسون في 1890. وكانت تشرف على صيانة الشقة والاهتمام بها السيدة مارثا هدسون، مالكة البناية. وقد وصف دويل الحي الذي يعيشان فيه بدقة، حتَّى أنَّ الكثيرين من القرَّاء زاروا شارع بيكر للبحث عن العنوان الخيالي.

ومن أبرز الشَّخصيات التي ظهرت في حياة شارلوك هولمز:

د. واطسون

واطسون؛ صديق هولمز الحميم، وكاتب سيرته الذَّاتيَّة، كما أنَّه يقوم بتسجيل معظم قضايا هولمز. وفي القصص الأخيرة ينتقد هولمز واطسون دائماً لأنَّه يروي القصص بشكلٍ مثيرٍ، مبتعداً عن الطَّريقة الموضوعية والمفصَّلة للتقارير التي تركز على ما يُسميه هولمز (العلم المحض). واطسون، بالمقابل، له سمعة مبررة بعض الشَّيء كرجل يميل إلى النّساء، يتكلَّم بحب عن بعض النِّساء، وفي بعض القصص الطَّويلة كثيراً ما يركِّز على جمال امرأة معيَّنة، وفي النِّهاية فإنَّه يتزوَّج

واحدة بالفعل. ماري مورستان من رواية علامة الأربعة.

جيمس موريارتي
«عدو شارلوك هولمز الأزلي»

البروفيسور جيمس موريارتي (نابليون الجريمة)، هو في الأساس معلِّم الرياضيات الخصوصي لهولمز، كما أشير لذلك أيضاً في عمل بارينغ-غولد. وهو المشكلة الأساسية في العديد من قضايا شارلوك هولمز.

سقط مع هولمز أثناء صراعهما في شلالات راينباخ. ونوى كونان دويل أن تكون (المشكلة النِّهائية) التي حدث فيها ذلك، هي آخر قصة يكتبها عن هولمز، لكنَّ الرَّسائل الكثيرة التي استلمها مطالبةً بعودة هولمز أقنعته بالاستمرار في كتابة القصص. وفي (مغامرة المنزل الفارغ) أخبر كونان دويل أنَّ موريارتي وحده من سقط في الشَّلال، وأنَّ هولمز جعل العالم يعتقد بأنَّه مات أيضاً ليراوغ أتباع موريارتي.

آيرين أدلر

المرأة الوحيدة التي أبدى هولمز اهتماماً بها. وتبعاً لما قاله واطسون، فإنَّ هولمز كان يشير إليها دائماً باعتبارها (المرأة). بالرُّغم من أنَّ هولمز نفسه لم يستخدم هذا المصطلح، على أنَّه ذكر اسمها الفعلي عدَّة مرات في قضايا أخرى. وهي أيضاً واحدة من النِّساء القلائل اللائي ذُكرن في قصص شارلوك هولمز، بالرُّغم من أنَّها ظهرت فقط في قصة فضيحة في بوهيميا، إلا أنَّها غالباً ما اعتبرت المرأة الوحيدة التي كسرت تحفُّظ هولمز. وهي المرأة الوحيدة التي هزمت هولمز في لغز.

مايكروفت هولمز

الشَّـقيق الأكـبر لهولمز، الذي يمتلـك قوى تحليلية تفـوق حتَّى تلك التـي يتمتَّـع بهـا شـقيقه الأصغـر. وبالرُّغـم من ذلـك فـإنَّ مايكروفت غـير قـادر عـلى أداء عمـل تحـرٍ مشـابه لعمـل شـارلوك، لأنَّـه لا ينوي بذل أي جهد جسدي ضروري لحل القضايا.

ليـس لديـه طمـوح أو طاقـة، ولـن يتزحـزح عن هـذا حتَّـى ليثبت حلولـه الخاصَّـة، ويُفضِـل أن يُعتـبر حلـه خاطئـاً عـلى أن يتحمَّـل عناء إثبـات صحـة كلامـه. كثيراً ما أخـذت مُعضـلاتي إليـه، وحصلت منه عـلى شروحـات ثبـت صحتهـا فيـما بعـد، غـير أنَّـه كان دائـماً غـير قادر على حل النّقاط العمليَّة.

وثائق المعاهدة البحرية

كانت تربطني صداقة عميقة خلال سنوات الدِّراسة بفتى اسمه بيرسي فيلبس، وكان بمثل سني على الرُّغم من أنَّه يتقدَّمني بعامين في الدِّراسة، لأنَّه كان عبقرياً لدرجة أنَّه حصد كل الجوائز الدِّراسيَّة المتاحة، ثمَّ أنهى إنجازاته الخارقة بالحصول على منحةٍ دراسيَّةٍ من جامعة كامبريدج لمتابعة مسيرته الدِّراسية النَّاجحة. إضافةً إلى كل ما سبق كان له العديد من الأقارب أصحاب النُّفوذ والسلطة، وقد عرفنا عندما كنَّا صغاراً أنَّ خاله هو اللُّورد هولد هورست السِّياسي العظيم من المحافظين، لكن هذه العلاقة لم تكن لتفيده في المدرسة إلا بالجزء اليسير، فقد كنَّا نطارده حول الملعب ونضربه بعصا الكريكيت ونحن نلعب سوياً! لكن الأمر تغيَّر حين أصبح في إطار الحياة العملية؛ فقد سمعت أنَّه حصل على مركزٍ جيِّدٍ في وزارة الخارجية نتيجة مقدراته وعلاقاته، وبعد ذلك نسيته تماماً، حتَّى وصلني خطاب منه ليذكرني بوجوده:

منزل برياربري، ووكنغ

عزيزي واطسون،

أنا واثق أنَّك ما زلت تذكر الضِّفدع الصَّغير فيليبس، ذلك

الفتى الذي كان في الصَّف الخامس عندما كنتَ أنت لا تزال في الصَّف الثالث، من المحتمل أنّك سمعت بأني حصلت على وظيفة جيِّدة في وزارة الخارجية بفضل نفوذ خالي، وأنِّي كنتُ محل ثقة واحترام، حتَّى أدَّى سوء حظ رهيب لتدمير مسيرتي العمليَّة بشكلٍ مُفاجِئ!

لا فائدة من ذكر تفاصيل ذلك الحادث الفظيع، حيث من المحتمل أن أسرد لك كل شيء بالتَّفصيل إذا لبيت طلبي. لقد تعافيت لتوّي من حُمَّى دماغيَّة شديدة استمرَّت لتسعة أسابيع، وما زلتُ ضعيفاً إلى حدٍ كبيرٍ، فهل تعتقد أنَّه يُمكِنُكَ إحضار السيد شارلوك هولمز إلى هنا ليراني؟ إذ أود أن أحصل على رأيه فيما يتعلَّق بهذه القضية، بالرُّغم من تأكيد السُّلطات لي بأنَّه ما من شيء يمكن عمله، لذلك أرجو منك أن تحاول إحضاره بأسرع وقتٍ مُمكِن، فكل دقيقة تمرُّ عليّ وأنا في هذه الحالة من الهلع والتَّرقُّب المرعب تبدو دهراً طويلاً. أرجو أن تؤكِّد له أنَّني إذا لم أكن قد سعيتُ لابتغاء نصيحته قبل الآن، فذلك لأنِّي كنتُ في غيبوبة منذ وقعت النَّكبة وليس لأنِّي لا أحترم موهبته ومقدراته، أمَّا الآن فقد بدأتُ أستعيد رشدي ثانيةً، لكنِّي لا أجرؤ على التَّفكير بالأمر مرَّةً أُخرى خوفاً من حدوث انتكاسة خطيرة في حالتي.

ما زلتُ ضعيفاً جدَّاً لدرجة أنِّي أُملي هذه الرِّسالة على شخصٍ ما ليكتبها نيابةً عني كما تُلاحظ، أرجو أن تحاول إحضاره.

زميلك القديم في المدرسة بيرسي فيليبس

شعرتُ بالشَّفقة على زميلي القديم مع إلحاحه مراراً أن أُحضِر هولمز لزيارته، وقد تأثَّرتُ لدرجة بدأتُ أفكِّر بتنفيذِ طلبه رغم

صعوبته. فقد كنتُ أعلم بالطَّبع أنَّ هولمز يحب ما يفعله كثيراً، لذلك هو دوماً مستعد لتقديم المساعدة إذا طُلب منه ذلك، وقد وافقتني زوجتي على ألا أهدر مزيداً من الوقت دون عرض الأمر عليه، وهكذا وجدتُ نفسي متَّجهاً إلى منزلي القديم في شارع بيكر مرَّةً أُخرى بعد الإفطار بساعة.



كان هولمز خلف طاولة تجاربه، مُرتَدياً ثوبه وهو يعمل بجدٍ على تجربةٍ كيميائيَّة، وقد راح إناء كبير ذو أنبوب تقطير يَغلي بشدَّة على الشُّعلة الزَّرقاء للموقد، والقطرات التي تم ترشيحها تتكثَّف في وعاء سعته لتران. عندما دخلت، لم يرفع صديقي رأسه عن التَّجربة

إلا بالكاد، وعندها أدركتُ كم هي مهمَّة بالنِّسبة له، فجلستُ على مقعدٍ مُريح وانتظرتُ فيما كان هولمز يضع قطرات من ذلك الإناء أو هذا عن طريق ماصّته الزُّجاجيَّة.. وأخيراً جلب إلى الطَّاولة أنبوب اختبار بداخله محلول ما، وكان مُمسكاً بورقة عبّاد الشَّمس بيده اليمنى وقال: لقد وصلتَ في وقتٍ حاسم يا واطسون، فإذا بقي لون هذه الورقة أزرقاً، كل شيء سيكون على ما يُرام، أمَّا إذا تغيَّر لونها إلى الأحمر فذلك يعني إنقاذ حياة إنسان.

غمس هولمز الورقة في أنبوب الاختبار فأصبح لونها على الفور قرمزيَّاً باهتاً، فصاح: آه، هذا ما ظننته. سأكون معك خلال لحظة يا واطسون.

ذهب إلى مكتبه ودوَّن بسرعةٍ عدّة نصوص برقيّات، ثمَّ أعطاها إلى البواب لإرسالها، وبعد ذلك جلس قبالتي ورفع ركبتيه حتَّى تشابكت أصابعه حول ساقيه الطَّويلتين، ثمَّ قال: إنَّها جريمةُ قتلٍ بسيطةٍ. أظنُّ أنَّ لديك ما هو أفضل، فغالباً ما يكون قدومك للتَّحقيق في جريمةٍ ما، ما الأمر يا واطسون؟

قدَّمتُ له الرِّسالة فقرأها بتركيزٍ شديدٍ، ثمَّ قال وهو يعيدها إلي: إنَّها لا تخبرنا بالكثير، أليس كذلك؟

- لا شيء تقريباً.
- وبالرُّغم من ذلك، فالخط مثيرٌ للاهتمام.
- لكنَّه ليس خط يده.
- بالضَّبط، إنَّه خط يد امرأة.
- صحتُ قائلاً: إنَّه خط يد رجل بالتَّأكيد.

- لا بل خط امرأة، وامرأة صاحبة شخصيَّة مُميَّزة ونادرة. يجب أن تعرف أنَّه من الجيِّد في بداية كل تحقيق أن تعرف إذا ما كان الشَّخص المعني بالتَّحقيق على علاقةٍ وثيقةٍ بشخصٍ يملك طبيعةً استثنائيَّة، سواء كانت تلك الطَّبيعة لصالح الخير أو الشَّر. لقد أَثَرتَ اهتمامي بالقضيَّة؛ لنذهب حالاً إلى ووكنغ -إذا كنت أنت جاهزاً- لنقابل الدِّبلوماسي الذي تورَّط في ما يبدو أنَّه قضية سيّئة، ونرى السَّيدة التي تكتب له رسائله.

تمكَّنا من اللَّحاق برحلة قطارٍ مُبكِّرة من محطة واترلو، وفي أقل من ساعة وجدنا أنفُسنا وسط غابات الصَّنوبر ومروج ووكنغ الخضراء، وكان بريابري منزلاً كبيراً يقع على بقعة أرضٍ واسعةٍ على بعد دقائق من المحطَّة. قام البواب باصطحابنا إلى قاعة استقبالٍ فخمةٍ بعد أن قدَّمنا له بطاقات تعريفنا، ودخل علينا بعد بضع دقائق رجلٌ بصحَّةٍ جيِّدة جدّاً أقرب للبدانة، واستقبَلنا بحفاوةٍ كبيرةٍ. كان سن الرجل حوالي أربعين عاماً، وكانت خدوده متورِّدة والبهجة تشع من عينيه، لدرجة أنَّه يوحي لناظره بأنَّه شخصٌ مفعمٌ بالحيويَّةِ والنَّشاط.

قال الرجل وهو يصافحنا بحرارةٍ مُبالغ فيها قليلاً: أنا سعيدٌ جداً بقدومكما، إذ أنَّ بيرسي يسأل عنكما منذُ الصَّباح. يا للشَّاب المسكين! إنَّه يحاول التَّعلق بأهداب الأمل. لقد طلب مني والداه أن أستقبلكما عوضاً عنهما، لأنَّهما لا يستطيعان مواجهة المسألة لما تُسبِّبه من ألمٍ لهما.

علَّق هولمز قائلاً: لم نعرف كل التَّفاصيل بعد، لكنني لاحظتُ أنَّك لستَ من أفراد العائلة.

ظهرت الدَّهشة على وجه مستضيفنا، لكنَّه سرعان ما نظر إلى الأسفل وقال ضاحكاً: لقد ظننتُ أنَّكَ قُمتَ بتخمينٍ بارعٍ! لكنَّك بالطَّبع رأيتَ أول حرفين من اسمي (ج، هـ) محفورين علىً قلادتي. إنَّ اسمي جوزيف هاريسون، وبما أنَّ بيرسي على وشك الزواج بأختي آن، يُمكِنُكَ اعتباري قريبه بالنَّسب. سوف تقابل أختي في غرفته حيث أنَّها قامت بتمريضه بتفانٍ كبيرٍ طوال الشَّهرين الماضيين، هيا لنذهب إليه في الحال، لأنِّي مُدرِكٌ لمقدار القلق والتَّشوُّق الذي ينتظركما به.

كانت الغرفة التي قادنا إليها بنفس الطَّابق الذي توجد به غرفة الاستقبال، وتبيَّن من الأثاث أنَّها تُستَعمل كغرفة معيشة في جزء وغرفة نوم في الجزء الآخر، وقد امتلأت زواياها بالزُّهور المنسَّقة جيداً، في حين استلقى على أريكةٍ بجانب النَّافذة شابٌ مُرهَقٌ شاحب الوجه. وقفت المرأة التي كانت جالسةً بجوارهِ عند دخولنا وسألته قائلةً: هل ترغب أن أغادر الغرفة يا بيرسي؟



أمسك يدها وضغط عليها بشدَّة رافضاً فكرة مغادرتها، وقال بحرارةٍ: «كيف حالك يا واطسون؟ ما كنت لأعرفك وأنت بهذا الشَّارب. وهذا على ما أظن صديقك المشهور السيد شارلوك هولمز، أليس كذلك؟

عرّفتُ هولمز بكلماتٍ بسيطةٍ وقليلةٍ، وغادر الغرفة الرَّجل البدين، فيما بقيت شقيقته في الغرفة مُمسكةً بيد بيرسي. كانت امرأةً رائعة الجمال رُغم قصرها وسمنتها البسيطة، وكانت بشرتها نضرة، وشعرها أسود قاتم وكثيف، فيما عيناها واسعتان وداكنتان، وبدا بيرسي شديد الشحوب مقارنةً بنضارة آن بجانبه.



قال وهو ينهض عن الأريكة: لن أضيِّع وقتكما، وسأدخل في الموضوع دون مقدِّمات. كنت سعيداً وناجحاً وعلى وشك الزَّواج حين تسبَّبت هذه المصيبة المُفاجِئة بتدمير كل آمالي في الحياة. ربما

أخبرك واطسون أنِّي كنتُ أعملُ في وزارة الخارجية، وبفضل نفوذ خالي اللُّورد هولد هورست ترقَّيتُ بسرعةٍ في وظيفتي، وعندما أصبح خالي وزيراً للخارجيَّة كلَّفني بعدة مهمَّات تتطلَّب ثقةً كبيرةً، ولأنِّي كنتُ أُنجزُ هذه المهام بنجاح دائماً فقد اقتنع خالي أخيراً بأن يضع كامل ثقته بي، ومنذ عشرةً أسابيع وتحديداً في 23 أيار، استدعاني إلى مكتبه الخاص، وبعد أن أطرى على جهودي طلب مني تنفيذ مهمَّةٍ جديدةٍ. قال وهو يتناول بيده رزمةً من الورق الرَّمادي اللَّون عن مكتبه: (هذه النُّسخة الأصليَّة من المعاهدة السريَّة بين إنكلترا وإيطاليا، ويؤسفني القول أنَّ بعض المعلومات على شكل شائعات قد تسرَّبت منها للصَّحافة، لكن من المهم للغاية ألا يتسرَّب أي شيء آخر منها، فالسفارتان الفرنسية والروسيَّة مُستعدتان لدفع مبالغ ضخمة لمعرفة محتوى هذه الأوراق، وما كنتُ لأدع هذه الأوراق تُغادر مكتبي، لولا الحاجة الماسَّة للحصول على نسخةٍ منها. هل تملك درجاً يمكن أقفاله في مكتبك؟

قلتُ: نعم يا سيدي. فقال: خذ إذن هذه المعاهدة، واحرص على إخفاءها في مكتبك. عند انصراف الموظفين سأُعطي الأوامر لتبقى بعد انتهاء دوام الموظفين، حتَّى تتمكَّن من نسخها (تكتب بخط يدك نسخة طبق الأصل عنها) دون أن يراك أحد أو يطَّلع على ما فيها.

وعندما تنتهي أعد إغلاق درج مكتبك بعد أن تضع فيه النّسختين الأصلية والمصوَّرة، ثمَّ تُسلمها لي غداً صباحاً). وهكذا أخذت الأوراق، ثم...

فقاطعه هولمز قائلاً: أستميحُكَ عُذراً، هل كنتما بمفردكما أثناء

هذه المحادثة؟

- بالضَّبط.

- في غرفةٍ واسعةٍ؟



- مساحتها، عشرة أمتار طولاً، وعشرة أمتار عرضاً.

- هل كنتما تتحدَّثان بصوتٍ منخفضٍ؟

- صوت خالي منخفضٌ بشكلٍ كبيرٍ في العادة، وأنا لم أتكلَّم تقريباً.

قال هولمز وهو يشرد بعينيه متأمِّلاً: شكراً لك، أرجو أن تتابع.

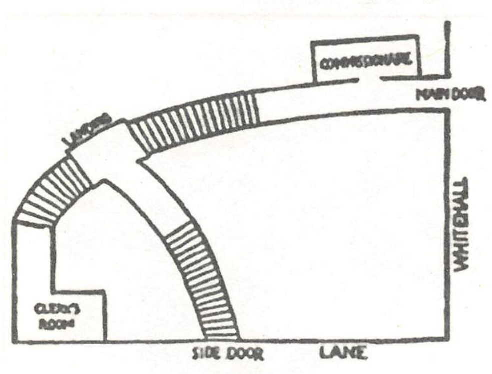
فتابع بيرسي قائلاً: فعلت ما أمرني به خالي تماماً، وانتظرت حتَّى غادر باقي الموظفين. تأخَّر أحد زملائي وهو تشارلز غورو في بعض الأعمال المتراكمة عليه، فتركتهُ وخرجتُ لتناول الغداء، وعند عودتي كان قد غادر. كنت متعجلاً في إنهاء المهمَّة المطلوبة منّي لأنّي كنتُ أعرف أنَّ السيد جوزيف ـ وهو نفسه السيد هاريسون الذي استقبلكم هنا ـ كان في المدينة، وعلمتُ أنَّه سيسافر إلى ووكنغ في قطار الحادية عشرة، لذلك أردتُ اللَّحاق به إذا استطعت.

وعندما قرأت المعاهدة أدركتُ فوراً أنَّها مهمَّةٌ جدّاً وأنَّ خالي لم يبالغ في طلب الحرص الشَّديد عليها. ودون إضاعة الوقت بالتَّفاصيل، يُمكنني القول أنَّها تُحدِّد موقف بريطانيا من التَّحالف الثُّلاثي، وتتحدَّث عن السياسة التي ستتبعها الدَّولة إذا قام الأسطول الفرنسي بالسَّيطرة على الممتلكات المستعمرات البريطانية في منطقة البحر المتوسط، أمَّا الأسئلة التي تمت مناقشتها من خلال المعاهدة فهي شؤون بحريَّة صِرفة، وكانت مُذيَّلة بتوقيعات المسؤولين. قرأتها بسرعةٍ ثمَّ بدأتُ أنسخها.

كانت وثيقةً كبيرةً مكتوبةً باللُّغة الفرنسيَّة. وتتألَّف من ستة وعشرين فصلاً، وقد قمت بالنَّسخ بأسرع ما يمكن، لكن أصبحت السَّاعة التَّاسعة ولم أنتهي سوى من تسعة فصول، لذلك كان واضحاً أنَّه من المستحيل أن ألحق بقطاري. وبدأتُ أشعر بالنُّعاس والتَّعب بسبب يوم العمل الطَّويل وعدم تناول عشائي أيضاً، فقرَّرتُ أن أتناول كوباً من القهوة لأستعيد تركيزي، وبما أنَّ حاجباً يبقى طوال اللَّيل في غرفة أسفل الدَّرج ومن عادته إعداد القهوة على موقده الصَّغير، قرعتُ الجرس لاستدعائه. ولكن ولدهشتي ظهرتْ بباب مكتبي امرأةٌ مُسنَّةٌ، ضخمةُ الوجه، ترتدي مئزراً، وقد أوضحت لي أنَّها زوجة الحاجب، وأنَّها تقوم

بالخدمة في الفترة النَّهاريَّة، فطلبتُ كوباً من القهوة.

نسخت فصلين آخرين، وبعد ذلك شعرتُ بنُعاس لم أشعر بمثله من قبل! فوقفتُ وأخذتُ أمشي في الغرفة ذهاباً وإياباً لأحرك قدمي. لم تكن قهوتي قد وصلت بعد، وتساءلتُ عن سببِ تأخُّرها، ففتحتُ الباب، ثمَّ سرتُ إلى آخر الرُّدهة لأستطلع الأمر، كانت الرُّدهة عبارة عن ممرٍ مستقيم، مضاءة بشكلٍ خفيفٍ، وهو الطَّريق الوحيد للخروج من غرفة مكتبي. ينتهي هذا الممر عند درج لولبي ملتف، تقع غرفة الحاجب في نهايته، وفي منتصف الدَّرجاتٍ توجد فسحةٌ صغيرةٌ يتَّصل بها ممرٌ آخر له زاوية قائمة، وهذا الممر الثَّاني يؤدي عبر درج آخر صغير إلى بابٍ جانبي للخدم، كما أنَّه يُستخدم كطريق مختصرٍ للموظَّفين عندما يأتون إلى مبنى الوزارة من شارع تشارلز. وفيما يلي رسم توضيحي لما سبق:



قال شارلوك هولمز: أشكرك، أعتقد أنّي قد فهمت وصفك تماماً، وأصبحت لديَّ صورةً واضحةً.

فتابع الشَّاب قائلاً: من المهم جدّاً أن تنتبه إلى هذه النّقطة. فقد نزلت الدَّرج، ودخلت إلى الصَّالة، حيث وجدتُ الحاجب غارقاً في النَّوم في غرفته، والماءُ يغلي في الإبريق على الموقد، فأنزلتُ الإبريق وأطفأتُ الموقد، لأنَّ الماء المغلي كان يتدَّفق على الأرض، وقبل أن أمد يدي لأوقظ الرَّجل الذي كان ما يزال نائماً بعمق، أيقظه رنين الجرس القوي فوق رأسه، فاستيقظ فزعاً وقال وهو ينظر إلي بدهشةٍ: سيد فيلبس، سيدي!



- لقد أتيت لأرى إن أصبحت قهوتي جاهزة.

- كنت أغلي الماء عندما غرقتُ في النَّوم يا سيدي.

كان ينظر إليّ ثمَّ إلى أعلى حيث يوجد الجرس، والدَّهشة المتزايدة ما زالت مرتسمةً على وجهه، ثمَّ سألني: إذا كنتَ أنت هنا يا سيدي فمن يرن الجرس إذن؟!

صحت قائلاً: الجرس؟ ما هذا الجرس؟!

- جرس الغرفة التي كنتَ تعمل فيها.

أحسستُ بيدٍ باردةٍ تُلقي القبض على قلبي، ففي تلك الغرفة شخصٌ ما حيث توجد المعاهدة الخطيرة على الطّاولة، فركضتُ بجنونٍ صاعداً الدَّرجات، ثمَّ مشيتُ عبر الممر حيث لم يكن هناك أحد يا سيد هولمز، لا على الدَّرج ولا في الغرفة أيضاً... كان كل شيء كما تركته ما عدا تلك الأوراق التي كانت بعهدتي. لقد اختفت من فوق مكتبي حيث وضعتها. كانت النّسخة موجودةٌ هناك، أمّا الأصل فقد اختفى!

جلس هولمز وبدأ يفرك يديه، وأدركتُ أنَّ القضية قد حازت على كل اهتمامه، وقال متمتماً: وماذا فعلتَ حينها؟

- أدركتُ في الحال أنَّ السَّارق قد صعد الدَّرجات المؤدية إلى الباب الجانبي، فلو أنَّه أتى من الطَّريق الآخر لكنتُ صادفته بالتَّأكيد.

- هل كنتَ مُتأكداً من عدم اختباءه في الغرفةِ معكَ طوال الوقت، أو في الممر الذي وصفتهُ لتوِّكَ بأنَّ إضاءته خفيفة؟

- هذا غير وارد أبداً، فحتَّى الفأر الصَّغير لا يستطيع الاختفاء في تلك الغرفة أو ذلك الممر، إذ لا يوجد متَّسع للاختباء.

- أشكرك، أكمل لو سمحت.



- أدرك الحاجب من شحوب وجهي أنَّ أمراً خطيراً قد وقع، فتبعني إلى الطَّابق العلوي، وأسرعنا عبر الممر، ثمَّ نزلنا الدّرجات المنحدرة المؤدية إلى شارع تشارلز، وكان الباب في نهاية الدَّرج مغلقاً لكنَّه غير مقفل بالمفتاح، ففتحناه واندفعنا خارجاً، وعندما فعلنا ذلك أذكر بوضوح أننا سمعنا ثلاث دقات من ساعةٍ في الجوار، فقد كانت الساعة العاشرة إلا ربع.

قال هولمز وهو يدون ملاحظة مختصرة: إنَّ لذلك أهميَّةً كبيرةً.

وتابع الشَّاب بالقول: كانت تلك اللَّيلة حالكة الظَّلام، وكان المطر يتساقط خفيفاً ودافئاً ولم يكن في شارع تشارلز أي أحد، لكن المرور كان كثيفاً كالعادة في وايت هول في ساعة الذَّروة. أسرعنا بالمشي على رصيف الشَّارع دون مظلات تقينا المطر، فوجدنا شرطياً واقفاً في الزَّاوية البعيدة من الشَّارع فسألته وأنا ألهث: لقد حدثت سرقة، لقد سرقت وثيقة شديدة الأهمية من وزارة الخارجية، هل مرَّ أحدٌ من هذا الطَّريق قبل قليل؟

قال: أنا أقف هنا منذ ربع ساعة يا سيدي، ولم يعبر من هنا سوى شخصٌ واحدٌ خلال هذه الفترة، امرأةٌ طويلة كبيرة في السن ترتدي وشاحاً من الكشمير.

صاح البواب:آه، إنَّها زوجتي. ألم يمر أحد آخر؟

- لا أحد.

صاح الحاجب وهو يشد يد معطفي: لا بُدَّ أنَّ السَّارق قد ذهب من الاتِّجاه الآخر إذن.

لكنَّني لم أقتنع، وزادت محاولاته وإلحاحه لإبعادي عن شكوكي فصرختُ به: من أي طريق ذهبت المرأة؟

- لا أعرف يا سيدي، لقد لاحظت مرورها، لكن لم يكن لدي سببٌ مهم لأراقبها، كان يبدو أنَّها على عجلةٍ من أمرها.

- كم مضى من الوقت على ذلك؟

- دقائق قليلة.

- هل مرَّت من هنا خلال الدَّقائق الخمس الأخيرة؟

- حسناً، لا يمكن أن تكون أكثر من خمس دقائق.

صاح الحاجب: أنت تضيِّع وقتك يا سيدي، فكل

دقيقة لها أهميتها الآن. ثق بي، المرأة لا علاقة لها بالأمر. تعال نتَّجه إلى النَّاحية الأخرى من الشارع. حسناً، إذا كنت لا تريد القدوم فسأذهب لوحدي.

انطلق بعد ذلك باتِّجاه النَّاحية الأخرى من الشَّارع، ولحقتُ به بعد ذلك بلحظات، وأمسكت به قائلاً: أين تقيم؟

أجابني قائلاً: 16 شارع آيفي في بريكستون، لكن لا تذهب بالاتِّجاه الخطأ يا سيد فيليبس. تعال نذهب إلى نهاية الشّارع من النَّاحية الأخرى، لنرى ما إذا بإمكاننا معرفة أي شيء.

لم يكن لدي ما أخسره لو استمعتُ لنصيحته، لذلك أسرعت مع الشّرطي إلى هناك لنجد الشَّارع مُزدحماً بحركة السّير وبالمارَّة، وكثير من النَّاس يسيرون بالاتِّجاهين وكل منهم مسرعٌ للوصول إلى مكانٍ يقيه هذه اللَّيلة الماطرة، ولم نجد أي مُتسكِّع ليُخبرنا عمَّن مرَّ من هناك. وبعد يأسنا من العثور على أي دليل، عُدنا إلى المكتب وفتَّشنا الدَّرج والممر دون أي نتيجة، أمَّا الممِّر المؤدِّي إلى الغرفة فقد كان مغطَّى بمشمَع أرضيات، لونُهُ أبيض، وهو يكشف آثار من يدوس عليه بوضوح، وقد فحصناه بدقَّةٍ متناهيةٍ فلم نجد أي آثار لأقدامٍ غريبةٍ.

سأل هولمز: هل كانت تُمطر طوال الليل؟

- منذ السَّاعة السَّابعة.

- كيف لم تترك المرأة التي دخلت الغرفة أي آثار لحذائها المتَّسخ بالطّين إذن؟

- يُسعدني أنَّكَ انتبهتَ لهذه النُّقطة، فقد خطرَت على بالي حينها، ولكنَّ الخادمات يخلعن أحذيتهُنَّ في غرفةِ الحاجب، ويرتدين خفاً ملائماً.

- هذا واضح، لم تكن هناك أي آثار إذن بالرُّغم من اللَّيلة الماطرة. إنَّ تسلسل الأحداث مثيرٌ للاهتمام فعلاً. وماذا فعلتَ بعد ذلك؟

- فتَّشنا الغرفة جيِّداً، ولم يكن هناك وجود لباب سري فيها، حيث يوجد فيها نافذتان ترتفعان عن الشَّارع عشرة أمتار، وكانت مغلقتان من الدَّاخل وبإحكام، كما يمنع السّجاد المفروش على الأرض أي احتمالات لوجود فتحةً خفيَّةً في أرضية الغرفة، أمَّا السَّقف فهو من النَّوع الأبيض العادي، لذلك كنتُ متأكِّداً ومستعداً، أراهن بحياتي على أنَّ من أخذ الأوراق قد دخل من الباب.

- وماذا عن المدفأة؟

- لا توجد مدفأةٌ جداريَّة، بل موقد تدفئةٍ عادي. إنَّ حبل الجرس معلَّق إلى يمين مكتبي مباشرةً، ومن قرع الجرس لا بُدَّ أنَّه كان يقف بالقُرب من المكتب ليفعل ذلك. لكن لماذا يقرع أي لص الجرس؟ إنه لغزٌ غير قابلٍ للحل.

- هذا حادثٌ غريبٌ بكلِ تأكيدٍ. ماذا كانت خطوتك التَّالية؟ لقد فتَّشتَ الغرفة، على ما أعتقد، لترى إن كان اللِّص أو الدَّخيل قد خلَّف فيها أي آثار؛ مثل أعقاب السَّجائر أو قفاز أو ما شابه ذلك؟

- لم يكن هناك أي شيء من هذا النَّوع.

- ولا رائحة؟

- حسناً، لم نفكِّر في ذلك.

- كانت رائحةُ التَّبغ ستُمثِّلُ تطوُّراً مُهمّاً جدّاً لهذا التَّحقيق.

- أنا لا أُدخِّن، لذلك أعتقد أنِّي كنتُ سألاحظ إذا كانت هناك رائحة تبغ. لم يكن هناك دليل من أي نوع، الحقيقة المادية الوحيدة هي أنَّ زوجة الحاجب، السيدة تانغي، أسرعت لتخرج من المكان، ولم يستطع الحاجب أن يُعطينا أي تفسير لذلك سوى أنَّ هذا هو الموعد المعتاد لمغادرتها إلى المنزل، وقد اتَّفقنا أنا والشُّرطي على أنَّ أفضل خطَّة تكمُنُ بمحاصرتها في المنزل قبل أن تتخلَّص من الأوراق... على افتراض أنَّها قد أخذتها.

كان الإنذار حينها قد وصل إلى شرطة سكوتلانديارد، وجاء المُحقِّق السَّيد فوربس في الحال وبدأ بمعالجة القضيَّة بهمَّةٍ كبيرةٍ، فاستأجرنا عربة بعجلتين، ووصلنا خلال نصف ساعة إلى العنوان الذي أعطاني إيَّاهُ الحاجب، حيث فتحتْ لنا الباب فتاةٌ صغيرةُ السن تبيَّن فيما بعد أنَّها الابنة الكُبرى للسَّيدة تانغي، ولم تكن أمَّها قد عادت بعد فقادتنا إلى الغرفة الأمامية لننتظرها. وبعد مرور حوالي عشر دقائق سمعنا دقَّات على الباب، وعندها ارتكبنا خطأً فادحاً ما كان يجب أن نقع به، لقد تركنا الفتاة لتفتح الباب لوحدها بدلاً أن نفتحه نحن، وقد سمعناها تقول لأمّها: أمي، هناك رجلان في المنزل ينتظرانك.

وبعد ذلك بلحظات سمعنا صوت خطواتها تبتعد عن المنزل مسرعةً، ففتح فوربس الباب وركضنا إلى الغرفة الخلفية والمطبخ، لكنَّ المرأة كانت قد سبقتنا إلى هناك، ووقفت تنظر إلينا بتحدٍ، ثمَّ تعرَّفت عليّ فجأة، فارتسمت على وجهها علامات الدَّهشة المطلقة وصاحت: يا للمفاجئة! إنَّه السيّد فيليبس الذي يعمل بالمكتب!

سألها رفيقي قائلاً: هيا، هيا، من كنتِ تحسبينا عندما هربتِ منّا؟

قالت ظننتكما من المحصلين، فنحن نُعاني من مشكلةٍ مع أحد التّجار.



أجابها فوربس قائلاً: هذا غير مقنع بما فيه الكفاية، فلدينا من الأسباب ما يدفعنا للاعتقاد بأنَّكِ قد أخذتِ أوراقاً من وزارة الخارجية، ونظن أنَّكِ هربتِ إلى هنا لتتخلَّصي منها أو تسلميها إلى شخصٍ ما، لذلك عليك مرافقتنا إلى إدارة الشرطة لتفتيشك.

لم ينفعها بشيء أي اعتراض أو مقاومة، و استأجرنا عربة كبيرة وعدنا جميعاً، لكن قبل ذلك قمنا بتفتيش المطبخ، لاسيَّما الموقد، لنتأكَّد من أنَّها لم ترم الأوراق عندما دخلت المطبخ قبل أن نقابلها، لكن لم يكن هناك أي أثَر لرماد ورق أو قصاصات.

عندما وصلنا إلى سكوتلانديارد ذهبت لتفتشها السيدة المتخصِّصة في تفتيش النِّساء، وانتظرتُ متحرِّقاً لمعرفة النَّتيجة، حتَّى عادت

المفتشة ومعها تقرير التَّفتيش الذي يؤكِّد أنَّ السَّيدة تانغي لا يوجد معها أي أوراق.

عندها شعرت بالرُّعب للمرة الأولى، فحتَّى تلك اللَّحظة كانت الحركة تلهيني عن التَّفكير بالعواقب، كما كنت على ثقة من استعادة النَّص الأصلي للمعاهدة فوراً، لدرجة نسيت معها عواقب فشلي بتحقيق ذلك. أمَّا في تلك اللَّحظة فلم يعد أمامي أي شيء لعمله، وأصبح لدي ما يكفي من الوقت وأكثر لأفكِّر ملياً بالموقف المرعب الذي وجدتُ نفسي فيه! سيؤكِّد لك واطسون كم كنتُ حسَّاساً وعصبياً في أيَّام الدِّراسة.. إنَّها طبيعتي. عندها بدأتُ أفكِر في خالي وزملائه في المجلس، وفي العار الذي سبَّبته له ولنفسي ولكل من له علاقة بي، وبالرُّغم من أنَّني كنتُ ضحية حادثة غير عادية، إلا أنَّه من غير المسموح وقوع مثل هذه الحوادث فيما يتعلَّق بالمصالح الدبلوماسيَّة.

لا أعرف ماذا فعلت، لكنّي أذكر أنَّني انفجرتُ غضباً، وحسب ما أذكر تجمَّع حولي عددٌ من الموظَّفين محاولين تهدئتي، وقد رافقني واحداً منهم حتّى محطَّة واترلو، وجعلني أستقل القطار المتَّجه إلى ووكنغ، وأظنّه كان سيرافقني لو لم أجد الدُّكتور فيرير الذي يقطن بالقرب من منزلي في ووكنغ، حيث كان مسافراً على متن نفس الرحلة، وتعهَّد بإيصالي إلى منزلي. لقد كانت تلك فكرةٌ جيِّدة، إذ انتابتني نوبةٌ عصبيَّةٌ في المحطَّة، وكنتُ أهذي كالمجنون قبل أن أصل إلى المنزل.

لقد تحطَّم قلب المسكينة أمي وآن لرؤيتي على هذا الوضع عندما أوصلني الطّبيب إلى المنزل. كان الدكتور فيرير قد سمع كل القصة تقريباً من المحقِّق الذي أوصلني إلى محطة واترلو، ولم يكن ما قاله

حـول وضعي الصحي يدعـو للاطمئنان، فقـد كان واضحـاً أنَّني مُقبلٌ عـلى مـرض سيء، لذلـك قامـوا بإخـلاء غرفـة جوزيـف بسرعـة، وجهَّزوهـا لتكـون غرفـة تمريـض لي. وهكـذا، يـا سـيد هولـمز، فقـد سـقطتُ مريضـاً لمـا يزيد على تسـعة أسـابيع فاقـداً الوعـي، أهذي على الـدّوام نتيجة الحمّـى الدِّماغية، وبفضـل عناية الطّبيب، واهتمام الآنسـة هاريسـون طوال تلـك المدة، أسـتطيع أن أحدِّثك الآن، فقـد كانت هي ممرضتـي أثناء النّهـار وجلبت ممرضـة لتعتني بي أثناء اللَّيـل، إذ كان من الممكن أن أفعل أي شيء خلال نوبات هياجي!

بـدأتُ أسـتعيد رشـدي لكـن ببـطء، إلا أنِّي لم أتمكَّـن من اسـتعادة ذاكـرتي سـوى في الأيـام الثّلاثـة الماضية، مـع أنِّي كنـتُ أتمنَّـى أحياناً ألا أسـترجعها مـرَّةً أخـرى. كان أول شيء فعلتـه بعـد أن تعافيـت هـو أن أرسـلتُ برقيَّـةً بطلب لقـاء المحقِّـق فوربس الـذي كان يتـولَّى القضية، وقـد جـاء وأكَّـد لي أنَّـه رغـم القيـام بجميـع الإجـراءات اللَّازمـة، إلا أنَّهـم لم يعثـروا عـلى أثـر لأي دليـل قـد يقـود إلى العثـور عـلى الوثائق، وقـد تحقَّقـوا مـن الحاجـب وزوجتـه بـكل الطُّـرق الممكنـة، لكنَّهـم لم يتوصَّلـوا إلى أي شيء قـد يفيـد التَّحقيـق. وأخبرني أنَّ شـكوك الشّرطة توجَّهـت نحـو الموظَّف غـورو الذي اسـتمرَّ يومها بالعمل وقتـاً إضافياً بعـد انتهـاء الـدَّوام كـما أخبرتـك، معتمدين بشـكِّهم فيه عـلى نقطتين، بقائـه في العمـل بعد انـصراف الموظفين، واسـمه الفرنـسي. لكنّي لم أبدأ العمـل على نسـخ المعاهـدة إلا بعـد انصرافـه في حقيقة الأمـر، وبالرُّغم مـن أنّ عائلتـه من أصـولٍ فرنسـيَّة إلا أنّه ليـس أقـل ولاءً لبريطانيا من أي واحـدٍ منـا. وبـما أنَّهم لم يعثـروا عـلى مـا يربطـه بالحـادث بشـكلٍ مبـاشر، أو مـا يـدل عـلى تورطه بـأي طريقةٍ فقـد تخلّوا عن هذا المسـار، لذلـكً فقـد لجـأتُ إليـكَ مُعلّقـاً عليـك آخـر آمالي يا سـيد هولـمز، فإذا

خذلتني سوف أخسر شرفي وكذلك عملي إلى الأبد.

استلقى المريض على وسادته مرهَقاً بعد سرد قصته الطَّويلة، فيما قامت ممرضته بإعطائه الدَّواء المنشِّط، أمَّا هولمز فقد جلس صامتاً وقد أطرق رأسه إلى الأرض وعيناهُ مغلقتان، في سلوكٍ قد يعتبره بيرسي نوعٌ من التَّكاسل، لكني أعرف أنَّ شولمز حينها يكون مستغرقاً في تفكيرٍ عميقٍ بالأمر.

وفي النِّهاية، قال هولمز: إنَّ روايتك واضحةٌ تماماً، وليس لدي سوى بضع أسئلة، لكني بحاجةٍ فوريَّةٍ على هذا السؤال بالتَّحديد: هل أخبرتَ أحداً يومها بأمر المهمَّة الخاصَّة التي تم تكليفك بها؟

- لم أخبر أحداً.

- ولا حتَّى الآنسة هاريسون الموجودة معنا هنا الآن على سبيل المثال؟

- لا، فأنا لم أعد للمنزل في ووكنغ خلال الفترة بين تكليفي بتلك المهمة وتنفيذها.

- ألم يأتِ أحدٌ من عائلتِكَ مصادفة ليزورك؟

- لا أحد.

- وهل يعرف أي منهم طريقه إلى مكتبك داخل الوزارة؟

- نعم، فالجميع زارني في مكتبي من قبل.

- إنَّ هذه التَّساؤلات لا معنى لها إذا لم تكن قد أخبرتَ أحداً بأمر المعاهدة حينها.

- لم أقل شيئاً لأحد.

- هل تعرف شيئاً عن الحاجب؟

- لا شيء سوى أَنَّه جنديٌّ قديم.

- ماذا كان اختصاصه في الجيش؟

- لقد سمعت أَنَّه كان في الحرس الملكي.

- أشكرك كثيراً. ليس لدي أدنى شك أنَّ بإمكاني الحصول على هذه التَّفاصيل من المفتِّش فوربس، فالسُّلطات ماهرةٌ بتكديس الحقائق دون العمل على الاستفادة منها. يا لها من رائعة هذه الوردة!

تجاوز الطَّاولة إلى النَّافذة والتقط من خارجها وردة جميلة وبدأ يتأمَّلها. كان ذلك وجهاً جديداً بالنسبة لي من وجوه هولمز غير المعتاد على الاهتمام بالأشياء الطَّبيعية.



بعد قليلٍ سألتْ السَّيدة الشَّابة: هل هناك أي أمل بحل هذا اللُّغز يا سيد هولمز؟

- حسناً، من غير المعقول إنكار أنَّ هذه القضيَّة غريبةٌ جداً ومعقَّدة، لكنّي أؤكد لكم بأنّي سأدرسها جيِّداً وأخبركم بأي نقاط قد تخطر على بالي.

- هل ترى أنَّ هناك دليلاً أو مؤشّراً ما؟

- لقد قمتم بمنحني سبع أدلة. سوف أفحصها بعنايةٍ قبل الحكم على مدى فائدتها لكشف ملابسات القضية.

- هل تشك بشخصٍ معيَّن؟

- أنا أشك بنفسي حالياً.

- ماذا؟!

- لأنَّني توصَّلت إلى حل للقضية بهذه السُّرعة.

- فلتذهب إلى لندن وتدقِّق وتدرس استنتاجاتك إذن.

نهض هولمز قائلاً: سآخذ بنصيحتِك الممتازة يا آنسة هاريسون، وأعتقد أنَّ هذا أفضل ما يمكننا عمله الآن يا واطسون، أمَّا بالنِّسبة لك يا سيد فيليبس، فالأمر معقَّد قليلاً.

صاح الدبلوماسي: سأنتظر عودتك مُظفَّراً على أحر من الجمر.

- حسناً، سأزورك غداً بنفس الموعد، على الرغم أنَّ تقريري سيكون سلبيّاً على الأرجح.

صاح عميلُنا: شكراً لوعدك بالقدوم، فمجرد معرفة أنَّه يتم القيام بأمر ما في هذه القضية يمنحني أملاً بالوصول إلى الحل.



أوصَلَنا السَّيد جوزيف هاريسون إلى المحطة، وسرعان ما وجدنا أنفسنا في القطار المتَّجه إلى بورتسموث، فيما غرق هولمز في تفكيرٍ عميقٍ لدرجة أنَّه لم ينبس ببت شفة حتَّى تجازونا تقاطع كلافام، وعندها قال: ما رأيك بالآنسة هاريسون؟

- إنَّها صاحبة شخصيَّة قويَّة.

- هذا صحيح، لكنَّها تبدو لي إنسانة طيِّبة، وهما -أي هي وأخوها- الابنان الوحيدان لأحد الصِّناعيين الكبار في مجال صناعة الحديد، في مكانٍ ما في شمال البلاد بالقرب من نورثمبرلاند. كان فيليبس قد خطبها حين سافر الشتاء المنصرم، ثمّ ذهبت هي لزيارته في ووكنغ، لتتعرَّف على عائلته ورافقها أخوها، ثمَّ وقعت الحادثة فبقيت لترعى خطيبها، أمَّا أخوها فقد بقي معهما عندما وجد

الوضع مريح. يجب أن نقوم اليوم بالتَّحريات الضَّرورية، لذلك يجب أن نبدأ بزيارة فوربس، إذ يمكن أن يخبرنا كل ما نريده من تفاصيل حتى نعرف من أين يجب أن نبدأ بالعمل على حل هذه القضية.

- لقد قلتَ أنَّ لديك دليلاً.

- حسناً، لدينا العديد من الأدلة، لكنَّنا لن نستطيع معرفة مدى أهميَّتها إلا بحصولنا على إجابات لمزيدٍ من الأسئلة. إنَّ أصعب الجرائم هي تلك التي لا تعرف الهدف منها، وهذه الجريمة لها هدف، فمن يُمكن أن يستفيد منها؟ لدينا السَّفير الروسي والسَّفير الفرنسي، ولدينا من يمكنه بيع المعاهدة لأحدهما، ولدينا اللُّورد هولد هورست.

- اللورد هولد هورست؟!

- حسناً، من الممكن أن يجد رجل الدَّولة نفسه في موقف حيث لا يكون آسفاً على دمار مثل هذه الوثيقة عن طريق الخطأ.

- ولكن ليس لجميع رجال الدَّولة السجل الرَّفيع المُشرِّف الذي يملكه اللورد هولد هورست.

- إنّه مجرد احتمال لكن لا يمكن تجاهله، لذلك سوف نقابل اللورد النَّبيل اليوم لنكتشف إذا ما كان سيخبرنا بشيءٍ أم لا. بعد ذلك هناك مسألة الجرس، وهي واحدةٌ من أهم عناصر القضية، إذ علينا أن نعرف لماذا قام السَّارق برن الجرس؟ هل كان ذلك نوعاً من استعراض العضلات، أم أنَّ هناك شخصاً كان يساعد السَّارق لكنَّه بدَّل رأيه وأراد منع الجريمة لخطورتها، أم أنَّ الأمر لم يكن مقصوداً، أم هل كان..؟

غرق ثانيةً في تفكيرٍ صامتٍ وعميق بعد أن خرج منه، ولأنني اعتدتُ على تقلّبات مزاجه عندما يكون في هذه الحالة، لزمتُ الصَّمت، لأنَّه على ما يبدو بدأ يُفكّر باحتمالٍ جديد.



وصلنا إلى وجهتنا حوالي الثَّالثة وعشرون دقيقة، وبعد وجبةٍ سريعةٍ اتَّجهنا إلى إدارة سكوتلانديارد. كان هولمز قد أبرق سلفاً لفوربس فوجدناه بانتظارنا. كان فوربس شخصاً ضئيلَ الحجم، ماكر وملامح وجهه حادَّة لكنَّها ودودة، وما أن رآنا حتَّى خاطب

هولمز قائلاً: يسعدني أن تمنحني دليلاً أو اثنين، فأنا لم أعثر على شيء مفيد في هذه القضية.

- ما الخطوات التي اتَّخذتها؟

- قمنا بمراقبة الحاجب وتفحَّصنا تاريخه. وتوصَّلنا إلى أنَّه تسرَّح من الحرس الملكي، وهو شخص ذو سمعة حسنة، ولم نستطع إيجاد أي شيء قد يدينه. بالنِّسبة لزوجته، فهي امرأةٌ سيِّئة، وأظن أنَّها تُخفي شيئاً ما، أعتقد بأنَّها تعرف أكثر مما تُظهر.

- هل راقبتموها؟

- لقد كلَّفنا امرأةً من فريقنا بذلك، لكنَّها لم تتمكَّن من الخروج بأي نتيجة.

- فهمت أنَّ بعض التّجار كانوا في منزل الحاجب؟

- صحيح، لكن تم دفع ديونهم كلها.

- ومن أين جلبوا المال اللّازم لتسديد الدّيون؟

- كان ذلك قانونياً. فقد تسلَّم تانغي الحاجب تعويضه التَّقاعدي، ولم يظهر معهم أي أثر لمال غير مشروع.

- وماذا كان جواب المرأة على استجابتها لجرس السيد فيليبس عندما فعل ذلك لطلب القهوة؟

- قالت إنَّ زوجها كان مُرهقاً وأرادت مساعدته.

- حسناً، هذا يبدو صحيحاً كون السيد فيليبس وجده نائماً بعد ذلك بقليل. إذن لا يوجد ما يُثير الشبهة حولها سوى سمعة المرأة. هل سألتها لماذا أسرعت بالرَّحيل تلك الليلة؟ فقد لفتت سرعتها انتباه الشرطي في الشارع.

- قالـت أنّها كانـت متأخِّرة عـلى موعدها المعتـاد وأرادت الوصول إلى المنزل.

- وهـل واجهتهـا بحقيقـة أنَّك والسَّـيد فيليبـس قد وصلتـما قبلها إلى بيت زوجها رغم أنَّك توجَّهت إلى هناك بعدها بعشرين دقيقة.

- قالـت أنَّ ذلـك هو الفـارق الزمني بين القـدوم إلى بيتهـا بالحافلة العامَّة والعربة الخاصَّة.

- وهـل أوضحـتْ سـبب ركضهـا باتِّجـاه المطبـخ عندمـا أخبرتهـا ابنتها بوجود من ينتظرها في المنزل؟

- علَّلـت ذلـك بأنَّهـا أرادت أن تُخبِّئ المـال الذي تدينُ به وسـتدفعه إلى التُّجار هناك.

- يبـدو أنَّهـا كانت تملـك جواباً لكل سـؤال. هل سـألتها إذا التَقَتْ أو شـاهدتْ أحـداً يتسـكَّع بالقـرب من شـارع تشـارلز عندما خرجت عائدةً إلى المنزل؟

- لم ترَ أحداً سوى الشُّرطي.

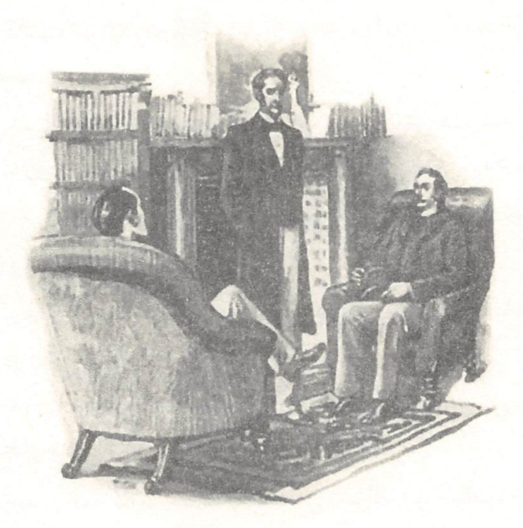
- حسناً، يبدو أنَّكَ استجوبتها بدقَّة. وماذا فعلت أيضاً غير ذلك؟

- راقبنـا الموظَّـف غورو طوال الأسـابيع التّسـعة الماضية، لكن دون جدوى، فلم نعثر على أي شيءٍ ضدَّه.

- هل هناك أي شيء آخر؟

- حسـناً، ليـس لدينـا أي دليـل للعمـل عليه، فـلا يوجـد لدينا أي شيء نتحرَّك على أساسه.

- هل استطعت استنتاج كيف تمَّ قرع ذلك الجرس؟



- حسناً، يجب أن أعترف بأنّي لم أعرف كيف حدث ذلك، لكن أياً كان من فعل ذلك فهو شخصٌ جريءٌ للغاية.

- هذا صحيح، فقد كان من الغريب القيام بذلك. شكراً جزيلاً على المعلومات المفيدة، وسأخبرك بأي شيء قد يساعدك في إلقاء القبض على الفاعل. هيا بنا يا واطسون.

سألته بعد انصرافنا: إلى أين الآن؟

- سنقابل اللُّورد هولد هورست، الوزير الحالي ورئيس وزراء بريطانيا المقبل.

حالفنا الحظ بإيجاد اللورد هولد هورست قُبيل مغادرته مقر الحكومة في شارع دواننغ، وعندما أرسل هولمز بطاقته الشَّخصيَّة إليه، سمحوا لنا بالدخول على الفور. استقبلنا الوزير بلباقته

التَّقليديـة المعروفـة، ودعانا إلى الجلـوس على الأريكتـين الفاخرتين على جانبـي المدفـأة، وبدا من شـكله المُمَيَّـز أنَّه نبيـلٌ من أصلٍ عريـقٍ وليس من العامَّة.

ابتسـمَ لنـا قائـلاً: إنَّ اسـمك مألـوفٌ يـا سـيد هولمـز، وبالطَّبـع لا يُمكننـي التَّظاهـر بعـدم معرفـة سـبب زيارتـك، فـلا شيء يُمكـن أن يجعلـك مهتـمَّاً بهـذا المكان إلا أمـرٌ واحـدٌ فقـط، فهـل لي أن أسـألك لمصلحة من تعمل يا سيد هولمز؟

أجاب هولمز: لمصلحة السيد بيرسي فيليبس.

- آه، ابـن أختي المسـكين صاحب الحـظ السَّيء! يُمكنُـكَ أن تتفهم بالطَّبـع أنَّ قرابتنـا تجعـل من المسـتحيل بالنسـبة لي التَّدخـل لحمايته بأي طريقةٍ، وأخشى أنَّ لهذه الحادثة أثراً سيئاً جداً على مستقبله الوظيفي.

- لكن ماذا لو تمَّ العثور على المعاهدة؟

- آه، سيكون الأمرُ مختلفاً بالطَّبع في هذه الحالة.



- أود أن أسألك سؤالاً أو اثنين أيُّها اللورد هولد هورست إذا سمحت لي؟

- سأكون بغاية السعادة لتقديم أي معلومات قد تُفيد في هذا الموضوع.

- هل أعطيتَ تعليماتك بنسخ الوثيقة في هذه الغرفة؟

- نعم.

- ألا يُمكن في هذه الحالة أن يكون شخصٌ ما قد سمع مُحادثتِكما؟

- هذا غيرُ ممكن.

- هل قلتَ لأحد أنَّك ستُعطي المعاهدة لشخصٍ ما لنسخها؟

- على الإطلاق.

- هل أنت متأكِّدٌ من ذلكَ يا سيدي؟

- متأكِّدٌ تماماً.

- حسناً، حيث أنَّك لم تخبر أحداً، والسَّيد فيليبس لم يفعل كذلك، ولم يعلم أي شخص أي شيء عن هذا الموضوع، فلا بُدَّ أنَّ وجود السارق إذن في الغرفة هو من باب المصادفة البحتة، ولا بدَّ أنَّه رأى الفرصة سانحة فانتهزها.

ابتسم رجل الدولة وقال: أنت تذهب بي بعيداً عن مجالي بهذا الكلام.

فكَّر هولمز للحظة وأضاف: لدي عددٌ من النّقاط الهامَّة الأخرى لأناقشها معك، فقد فهمتُ أنَّك تخشى من عواقب تسرُّب تفاصيل هذه المعاهدة.

اكفهرَّ وجه رجل الدولة المعبّر وقال: نتائج كارثية إذا أردتَ توخي الدّقة.

- وهل حدث شيئاً منها؟

- ليس بعد.

- وهل تتوقع أن تعرف هذا إذا افترضنا أنَّ المعاهدة وصلت إلى السَّفارة الفرنسيَّة أو الروسيَّة؟

تجهَّم وجد اللورد هولد هورست وقال: هذا أكيد.

- لقد مر الآن حوالي عشر أسابيع ولم نسمع أي شيء بعد، إذن ليس ابتعاداً عن المنطق إذا افترضنا أنَّ المعاهدة لم تصل إليهم بعد.

هزَّ اللُّورد هولد هورست كتفيه وقال: من المستبعد أيضاً أن نعتقد أنَّ اللّص قد أخذ المعاهدة ليضعها في إطارٍ ويعلِّقها على جدار منزله.

- لعلَّه ينتظر من يدفع له أكثر مقابلها.

- إذا انتظر وقتاً أطول قليلاً فلن يحصل على أي قرش مقابل الوثيقة، فالمعاهدة سوف تُنشر علناً خلال بضعة شهور.

قال هولمز: هذا أمرٌ مُهمٌ للغاية، لكن بالطَّبع من الممكن أن يكون السارق قد تعرَّض لحادث ما أو مرض مفاجئ...

فسأله رجل الدولة مُلقياً نظرةً سريعةً باتجاهه: كأن يُصاب بحمى دماغيَّة مثلاً؟

قال هولمز برباطة جأش: أنا لم أقل ذلك. حسناً، لقد أخذنا الكثير من وقتكَ الثَّمين يا سيد هولد هورست، وسنغادرك الآن متمنين لك يوماً سعيداً.

أجاب النَّبيل وهو يرافقنا إلى الباب: أنا أيضاً أتمنَّى لك النَّجاح

في تحقيقاتك، وليكن السارق من يكون.

قال هولمز بعد أن أصبحنا في الشارع: إنَّه شخصٌ نزيه، لكنَّه يجاهد في سبيل الحفاظ على موقعه، فهو ليس غنيَّاً وعليه بالمقابل أعباء كبيرة. لقد انتبهتَ بالطَّبع إلى أنَّه قام بتركيب نعلٍ جديد لحذائه. والآن يا واطسون لن أؤخرك أكثر على عملك، فلن أفعل أي شيء اليوم إلا إذا جاءني رد على إعلان عربة الأجرة، لكنّي سأكون ممتناً جداً إذا رافقتني غداً إلى ووكنغ.

قابلته صباح اليوم التَّالي بالموعد المحدَّد، وأخذنا القطار المتَّجه إلى ووكنغ، وقد علمت منه أنَّه لم يجد أي أدلة جديدة تُسهم في حل القضية. وكانت تعابير وجهه لا تشي بشيء، فلم أستطع الاستنتاج إذا ما كان راضياً عن سير الأمور حتَّى الآن أم لا.



وجدنا عميلنا ما يزال تحت رعاية ممرضته المُخلصة، لكنَّه بدا أفضل من الأمس، حيث نهض لتحيتنا دون صعوبة ثم سألنا بلهفةٍ:

هل من جديد؟

قال هولمز: تقريري سلبي كما قلت لك البارحة، فقد قابلت فوربس، ثمَّ خالك، وبعد ذلك بدأتُ سلسة من التَّحريَّات التي قد تؤدي إلى نتيجة.

- لم تفقد تحمّسك للقضية إذن؟

- على الإطلاق.

قال فيليبس وهو يعود للجلوس على الأريكة: إذن نحن لدينا أخبار أكثر مما لديك. لقد قمنا بمغامرةٍ ليلة الأمس، وقد تجد فيها ما يفيدنا.

وارتسمت ملامح الجدية على وجهه وهو يتكلَّم، كما ظهر بعض الخوف في عينيه وقال: أتعلم؟ لقد بدأت أقتنع أنّي قد أكون هدفاً لمؤامرةٍ شريرةٍ، وأنَّ المستهدف قد يكون شرفي أو حياتي.

صاح هولمز: حقاً، كيف؟!

- يبدو أنَّ هذا غير معقول، فليس لدي أعداء من أي نوع كما أعتقد! لكن بعد تجربة اللَّيلة الماضية أصبحت مُجبراً على التَّفكيرِ أنّي مستهدفٌ فعلاً.

- أرجوك، قل لي ماذا حدث.

فقال: يجب أن تعرف أولاً أنَّ ليلة أمس كانت أول ليلة لي بدون أن ترافقني الممرضة التي تقوم على رعايتي في فترة الليل. فقد شعرتُ أنّي تحسَّنت بما يكفي لأستغني عنها. على كل حال، في حوالي الثَّانية صباحاً غفوتُ لأستيقظ بعد قليلٍ على صوت جلبةٍ خفيف. كان الصَّوت يشبه صوت فأر يقرض لوحاً خشبياً. بقيت صاحياً

أستمع إلى الصَّوت مُقتنعاً أنَّ الفأر هو مصدر الصَّوت بالفعل. لكنَّ الصَّوت ارتفع وتلاه صوتُ قرقعةٍ معدنيَّةٍ من النَّافذة، فجلستُ في سريري والدَّهشةُ تسيطر عليّ، إذ لم يعد لدي أدنى شك أنَّ الصَّوت الأول نتج عن محاولة شخص ما إدخال أداة حادَّةٍ في الشق الموجود بين إطاري النَّافذة، والثَّاني كان صوت القفل حين تم دفعه إلى الخلف تمهيداً لفتح النَّافذة! بعد ذلك ساد صمتٌ مطبق لعشر دقائق، كما لو أنَّ ذلك الشَّخص ينتظر ليرى ما إذا كانت الضَّوضاء التي أحدثها جعلتني أستيقظ أم لا. ثمَّ سمعتُ صوت صرير خفيف، حين بدأت النَّافذة تنفتح ببطءٍ شديدٍ. عندها لم أعد أطيق صبراً، فقفزت من السَّرير وفتحتُ النَّافذة بسرعةٍ لأجد خلفها رجلاً رابضاً هناك! ولم أتمكَّن من التَّدقيق بوجهه، لأنَّه اختفى كلمح البصر ما أن كشفته وكان ملتفاً بشيءٍ يُشبه العباءة يُغطِّي به النّصف السفلي من وجهه، لكنّي متأكد من شيءٍ واحدٍ وهو أنَّه كان يحمل سلاحاً ما، بدا لي طويلاً وقد ميَّزت لمعته عندما استدار هارباً.

قال هولمز: هذا أمرٌ مثيرٌ للاهتمام! وماذا فعلتَ بعد ذلك؟

- كان يمكن أن أطارده لو كنتُ أكثر قوة، لكنِّي لم أستطع. لقد رننت الجرس، وأيقظتُ كل من في المنزل، وقد استغرق الأمر بعض الوقت حتى سمعني أحد، لأنَّ الجرس في المطبخ، فيما ينام الخدم في الطَّابق العلوي لقد صرختُ أيضاً بقوة، وحضر على الفور جوزيف مصطحباً معه الآخرين. وقد وجد السَّائس آثاراً عند حوض الأزهار خارج النّافذة، لكن وبسبب برودة الطقس، ولأنَّ الجو كان جافاً في الآونة الأخيرةِ فقد كان تقفِّي الأثر على العُشب بلا فائدة، رغم أنَّهم أخبروني بأنَّهم وجدوا آثاراً على السور الخارجي الخشبي كما لو أنَّ أحدهم قد قفز فوقه فخلع القسم العلوي منه. على كل

حال، لم أقم بإبلاغ الشرطة حتى تأتي وأعرف رأيك أولاً.

أعتقد أنَّ قصة عميلنا قد أثَّرت كثيراً في شارلوك، فقد نهض عن كرسيه وراح يمشي في الغرفة بانفعالٍ واضح، كما كان من الواضح أنَّ ما حدث ترك تأثيراً كبيراً على فيليبس، رغم أنَّه ابتسم قائلاً: المصائب لا تأتي فرادى!

فقال له هولمز: لقد نلتَ فعلاً ما يكفي من المصائب. هل تعتقدُ أنَّك قادرٌ على السير معي حول المنزل؟

- نعم، أودُّ أن أتمتَّع بالمشي تحت أشعة الشمس، وسيرافقنا جوزيف أيضاً.

قالت الآنسة هاريسون: وأنا كذلك سآتي معكم.

قال هولمز وهو يهزُّ رأسه: أخشى أنَّ هذا غير ممكن، أرجو أن تبقي جالسةً حيثُ أنتِ!

عادت الشَّابة إلى مكانها، وعلامات الامتعاض ظاهرةٌ على وجهها، أمَّا أخوها فقد لحق بنا. مشينا نحن الأربعة حتَّى وصلنا إلى الجهة الخارجية لنافذة الدبلوماسي الشاب، ووجدنا هناك آثاراً على حوض الأزهار، لكنها كانت آثار مموهة وغامضة بشكلٍ مُحبط. انحنى هولمز ليتفحَّصها جيداً. ثمَّ اعتدل وهو يهز كتفيه قائلاً: لا أعتقد أنَّنا يمكن أن نتوصل إلى شيء من هذه الآثار، دعونا نلف حول المنزل لنرى لماذا اختار المتسلِّل هذه الغرفة بالذَّات، إذ اعتقد أنَّ نوافذ المكتبة الأكبر أفضل بالنسبة له للتَّسلُّل عبرها.

قال جوزيف هاريسون مقترحاً: لكن أيمكن رؤيتها من الشَّارع؟

- آه، نعم، بالطبع. يوجد هنا باب كان من الممكن أن يُجرِّب

التَّسلل عبره، إلى أين يؤدي هذا الباب؟

- إنَّـه المدخـل الخلفـي مـن أجـل البائعـين، ويكـون بالطَّبـع مغلقاً طوال اللَّيل.

- هل سبق وتعرضتم لمثل هذا الاعتداء؟

- أبداً.



- هـل تحتفظـون بـأدوات مائـدة مثـل الملاعـق وسـواها المصنوعـة مـن الفضـة أو الذّهـب أو أي أشـياء قـد تُغـري اللّصـوص بمحاولـة سرقتها؟

- لا شيء له تلك القيمة العالية.

تجـوَّل هولـمز حـول المنـزل ومظهره يـدل على تهـاون غير مُعتـاد، ثمَّ قـال لجوزيـف هاريسـون: بالمناسـبة، لقـد فهمـت أنَّكم قـد عثرتم على المـكان الـذي تسـلَّق منـه ذلـك الشـخص السـور الخشـبي. دعنـا نُلقي نظرةً عليه.

قادنـا الشَّـاب إلى حيـث انكسر القسـم العلـوي من السـور. كانت هنـاك قطعـة خشـبية مكسـورة لكنَّهـا مـا زالـت معلَّقـة، فقـام هولـمز بسـحبها وتفحَّصهـا بعنايـةٍ ثـمَّ قـال: هـل تعتقـد أنَّ هذا تـم بالأمس؟ إنَّه يبدو أقدم من ذلك قليلاً، أليس كذلك؟

- حسناً، هذا ممكن.

- كـما لا توجـد دلائـل عـلى أنَّ أحـداً قـد قفـز إلى الجهـة الأخرى. أعتقـد أننـا لـن نحظى بـشيءٍ هنا. هيـا بنا نعـود إلى غرفة النَّـوم لنناقش الأمر مليَّاً.

قطـع هولـمز المرج العُشـبي مسرعـاً، ووصلنا أنا وهـو قبل جوزيف وبـيرسي؛ لأنَّ الأخـير كان يسـير ببـطءٍ مُتَّكئـاً عـلى ذراع الأول. قـال هولـمز قبـل أن يصـلا متَّحدِّثاً بأسـلوبٍ حـادٍ للغاية: يجـب أن تمكثي في مكانـك يـا آنسـة هاريسـون طـوال اليـوم، وأن لا تدعـي شـيئاً يمنعُكِ عن القيام بذلك. إنَّ هذا الأمر على درجةٍ عاليةٍ من الأهمية.

قالـت الفتـاة بدهشـة: بالتَّأكيـد، إذا كان هـذا مـا تريـده يـا سـيد هولمز.

- وأريد منك أن تقفلي باب الغرفة من الخارج وتحتفظي بالمفتاح معك عندما تذهبين للنَّوم، أرجو أن تعديني بذلك.

- وماذا عن بيرسي؟

- سيذهب معي إلى لندن.

- وهل سأبقى أنا هنا؟

- يجب أن تفعلي ذلك من أجله. أنت تُسدين له خدمةً كبيرةً عبر القيام بذلك. أرجوكِ عديني بذلك.

هزَّت رأسها بالموافقة، فيما وصل بيرسي وجوزيف الذي صاح بها قائلاً: لماذا تجلسين وأنت حزينةٌ هكذا يا آن؟ تعالي إلى هنا في الخارج لتتمتَّعي بأشعة الشَّمس.

- شكراً يا جوزيف، أعاني من صداع خفيف وهذه الغرفة باردةٌ ومريحة.

سأل عميلنا هولمز قائلاً: ماذا تقترح الآن يا سيد هولمز؟

- حسناً، يجب أن لا نسمح لهذا الحادث البسيط أن يُشتِّت انتباهنا عن القضية الرَّئيسية، لذلك سيكون من المفيد جدَّاً أن تسافر معنا إلى لندن.

- هل يتوجب عليّ السفر الآن؟

- حسناً، حالما تستعد.. فلنقل خلال ساعة.

- إذا كانت هناك فائدةً تُرجى من ذهابي معكم فأنا أشعر بتحسنٍ كبيرٍ في حالتي الصحيَّة.

- سيكون لذهابك فائدةٌ كبيرةٌ.

- وهل تُريدُني أن أقضي اللَّيلةَ هناك؟

- كنتُ على وشك اقتراح ذلك.

- وهكذا إذا جاء صديق اللَّيل لزيارتي مرَّةً أخرى، سيجد أنَّ العصفور قد طار من عشه! كلنا سنفعل ما تريد يا سيد هولمز لكن يجب عليك أن تخبرنا ماذا نفعل. هل تُفضِّل أن يأتي جوزيف معنا ليعتني بي؟

- لا، سيعتني بك صديقي واطسون، فهو طبيب. سوف نتناول الغداء ثمَّ نتوجَّه نحن الثلاثة إلى لندن.

وبالفعل تمَّ الأمر كما اقترح هولمز، واستأذنت الآنسة هاريسون لتبقى في الغرفة وفق ما طلب. لم أستطع إدراك هدف صديقي من هذه المناورات، إلا إذا كان يريد إبعاد آن عن فيليبس. وقد خبَّأ لنا هولمز مفاجأةً مذهلة على أي حال؛ فبعد أن اصطحبنا إلى المحطة ووضعنا في القطار المتَّجه إلى لندن، أعلن بهدوء أنَّه يريد البقاء في ووكنغ! وقال: توجد نقطة أو اثنتان أريد أن أجد تفسيراً لهما قبل مغادرتي.

وغيابك يا سيد فيليبس عن المنزل سيساعدني بذلك كثيراً. أرجو منك يا واطسون أن تصطحب صديقنا إلى منزلنا في شارع بيكر، وتنتظراني هناك حتَّى ألتحق بكما. من حسن الحظ أنَّكما صديقان منذ أيام المدرسة، وستجدان الكثير من المواضيع لتتحدثا فيها. يستطيع السيد فيليبس النَّوم في الغرفةِ الإضافيَّة هذه اللَّيلة، وسوف أكون معكما غداً على الإفطار، حيث يصل القطار إلى محطة واترلو في الثَّامنة صباحاً.



سأل فيليبس: لكن ماذا عن تحرياتنا و تحقيقنا في لندن؟

- نستطيع القيام بذلك غداً، أمّا في الوقت الرّاهن أرى أنّ وجودي هنا أكثر أهميةً وإلحاحاً.

صاح فيليبس عندما بدأ القطار يتحرّك: أرجو أن تخبرهم في المنزل بأني سأعود غداً مساءاً.

أجابه هولمز وهو يلوّح بيده ضاحكاً: لا أظن بأنّي سأعود إلى

المنزل.

ناقشتُ الأمر مع فيليبس أثناء رحلة القطار، ولكن لم يتمكَّن أحدنا من تفسير هذا التَّطور الجديد! وحين وصلنا إلى شارع بيكر قلتُ له: والآن هيا بنا لننام من أجل أن نستيقظ ونحن بنشاطٍ كامل لمواجهة ما ينتظرنا غداً.

تمكَّنتُ من إقناع صديقي بنصيحتي، رغم معرفتي أنَّه لن ينام نتيجة انفعاله. وكذلك أنا لم أتمكَّن من النَّوم حتَّى منتصف اللَّيل، وأنا أُفكِّر في هذه القضية الغريبة، وأحاول بناء النَّظريات لأخرُجَ بنتيجةٍ واحدةٍ؛ أنَّ كل واحدةٍ منها أكثر استحالة من التي سبقتها. لكن بقي سؤالٌ يُؤَرِّقُني، لماذا بقي هولمز في ووكنغ؟ ولماذا طلب من الآنسة هاريسون البقاء في غرفة بيرسي طوال اليوم؟ ولماذا كان حريصاً على ألا يخبر أحداً من الذين بقوا في المنزل بأنَّه سيبقى في ووكنغ؟ ومضيت في هذه التَّساؤلات حتَّى غرِقتُ في النَّوم فيما أحاول العثور على حلٍ يُفَسِّر هذه الحقائق جميعاً.

ما أن استيقظتُ في السَّابعة صباحاً، ذهبت مباشرةً إلى غرفة فيليبس لأجِدَه مُرهَقاً بعد أن قضى ليلةً مليئةً بالأرق. ما أن رآني حتّى سألني عن هولمز فقلتُ له: حتما سيصل في موعده بالضَّبط.

وسرعان ما أثبت هولمز صحّة كلامي، فبعد الثَّامنة بقليل توقَّفت عربةٌ أمام المنزل ورأينا صديقي ينزل منها، وانتبهنا أنَّ هناك ضمادةٌ على يده اليسرى ووجههُ متجهِّمٌ وشاحب! ومرَّ وقتٌ قصير بعد دخوله المنزل حتَّى وصل إلينا.

صاح فيليبس: يبدو أنَّه قد تعرَّض لاعتداء!

لم يكن أمامي سوى الاعتراف بأنَّه على حق، فقلتُ: من المحتمل

أن يكون الحل هنا في لندن.

فتأوَّه فيليبس وقال: لا أدري ما الذي حدث، لكنّي كنت أعلِّق آمالاً كبيرة على عودته مُظَفَّراً، لكن كما ترى فإنَّ يده لم تكن مربوطة بضمادةٍ البارحة، فماذا يمكن أن تكون الأخبار والحال هكذا؟!

سألت صديقي ما أن دخل إلى الغرفة: هل أُصِبتَ بجرحٍ يا هولمز.

أجاب هولمز وهو يومئ لنا بتحيَّة الصَّباح قائلاً: إنَّه خدشٌ بسيط نتيجة حركاتي الخرقاء. إنَّ قضيَّتك يا سيد فيليبس واحدةٌ من أكثر القضايا غموضاً التي عملتُ عليها في حياتي.

- أخشى أنَّكَ لن تتمكَّن من حلِّها.

- لقد كانت من أكثر التَّجارب روعةً في حياتي أيضاً.

- فقلتُ: إنَّ الضِّمادة تدلُّ على أنَّك خضت مغامرةً خطيرة. ألن تُخبرنا بما حدث؟



- بعد الإفطار يا عزيزي واطسون، فأنا جائعٌ جدّاً بعد أن استنشقت هواء الرِّيف النَّقي لمسافة ثلاثين ميلاً! أعتقد أنَّنا لم نتلقَّ أي رد على إعلان عربة الأجرة. حسناً، لا نستطيع أن نتوقَّع أنَّ كل الأمور ستسير بالطريقة التي نريدها في كل مرة.

كانت مائدة الإفطار جاهزة، وما أن هممتُ برن الجرس، دخلت السيدة هيدسون تحمل معها القهوة والشاي، وبعد ذلك بدقائق أحضرت ثلاثة أطباق عليها غطاء. جلسنا جميعاً إلى مائدة الطَّعام، وكان هولمز متحفِّزاً، فيما كنت أنا فضولياً كالعادة، أمَّا فيليبس فكان غارقاً بحالة اكتئابٍ حادّةٍ.

قال هولمز وهو يرفع غطاء أحد الأطباق لنجد تحته دجاج بالكاري: لقد تفوقَّت السيدة هيدسون على نفسها، بالرُّغم من أنَّ طبخها محدودٌ قليلاً، إلا أنَّ وجبة الإفطار التي تقدِّمها غنيةٌ تماماً. ماذا لديك في طبقك يا واطسون؟

قلت: لحمٌ وبيض.

- هذا جيد. ماذا تُفضِّل يا سيد فيليبس البيض واللَّحم أو الدَّجاج بالكاري؟

- شكراً، لا أستطيع أن أتناول الطَّعام. لا رغبة لي بالأكل.

- ماذا؟! هيا، عليك أن تُجرِّب هذا الطَّبق أمامك.

- شكراً لك، لكنّي أفضل البقاء بدون طعام.

فأجاب هولمز بغمزةٍ عابثة من عينه: إذن لن تُمانع إذا رفعتُ غطاء طبقك؟

رفع فيليبس الغطاء، وعندها انطلقت من فمهِ صرخةُ دهشةٍ

كبيرةٍ، وجلس يُحدِّق بوجهٍ شاحبٍ كلون الطَّبق الأبيض الذي ينظر إليه. كان يوجد في الطَّبق لفافة ورقٍ رماديَّة اللّون. قام برفعها وأخذ يتأمّلها، ثمَّ نهض وبدأ يرقص كالمجنون وهو يصرخ من الفرح، بعد ذلك انهار على كرسيه مترنِّحاً!

ربت هولمز على كتفه ليُهدِّئه وقال: هيا يا رجل! لا يجب أن تُفاجأ هكذا، لكنَّ واطسون سيخبرك أنَّني مُعتادٌ على عدم مقاومة بعض الإثارة.

أخذ فيليبس يد هولمز بسرعةٍ وقبّلها ثمَّ صاح قائلاً: بارك الله بك! لقد أنقذت شرفي.

فأجابه هولمز: حسناً، ألا تعرف أنَّ سُمعتي كانت على المِحَك أيضاً في هذه القضية؟ أؤكد لكَ كم أكره الفشل في أي قضية أتولاها، كما الأمر بالنِّسبة لك عندما تتولّى مهمة ما.

وضع فيليبس الوثيقة الثَّمينة في أعمق جيوب معطفه وقال: لا أريد أن أقاطع فطورك أكثر من ذلك، رغم أني أتحرَّق شوقاً لمعرفة كيف أحضرتها ومن أين.

شرب هولمز رشفةَ قهوةٍ ثمَّ بدأ بأكل البيض واللَّحم. بعد أن انتهى أشعل تبغ غليونهِ وجلس على كرسيه بعيداً عن مائدة الطَّعام وقال: سأخبرك ماذا فعلت في البداية، ثمَّ سأخبرك فيما بعد بالطَّريقة التي استخدمتها. بعد أن غادرتما بالقطار، ذهبتُ في نزهةٍ لأُمتِّع نظري بمشاهد الريف السَّاحرة حتَّى وصلتُ إلى قريةٍ صغيرةٍ جميلةٍ اسمها ريبلي، حيث شربت الشَّاي في أحد فنادقها الصَّغيرة، ثمَّ ملأتُ قارورتي، وأخذتُ لفافة تحوي بضع شطائر. بقيت هناك حتَّى حلَّ المساء، ثمَّ توجَّهت إلى ووكنغ مرةً أخرى، حيثُ وجدتُ نفسي

في الشَّارع العام، خارج منزل برياربري قبل غروب الشَّمس. انتظرتُ حتَّى أصبح الشارعُ خالياً من المارَّة، ثمَّ تسلَّقتُ السور إلى حديقة المنزل.

صاح بيرسي قائلاً: لماذا السّور، لا بُدَّ أنَّ البوابة كانت مفتوحة.

قال هولمز: أعرف ذلك، لكني أتَّبع أسلوبي الخاص في هذه الأمور. لقد قمتُ باختيار مكان الدّخول حيث توجد شجرات الصَّنوبر الثَّلاث، لتساعدني كي لا يراني أحدٌ عندما أدخل، فوقفت خلفها، وربضتُ هناك لفترة. بعد ذلك زحفتُ من واحدة إلى أُخرى حتَّى وصلت إلى الشُّجيرات الوردية الموجودة قبالة نافذة غرفتكَ وبقيتُ هناك لفترة. ولأنَّ ستائر غرفتك كانت مفتوحة، استطعتُ رؤيةَ الآنسة هاريسون في الدَّاخل تقرأُ بجوار الطَّاولة. ثمَّ انتهتْ من القراءة، وأغلقت الكتاب حوالي العاشرة إلا ربع، ثمَّ أغلقت السَّتائر وغادرت الغرفة، وسمعتها وهي تقفل الباب، وتأكَّدتُ أنَّها قد أدارت المفتاح في القفل.

هتف فيليبس: المفتاح!

قال هولمز: نعم، فقد طلبتُ من الآنسة هيدسون أن تُقفِل الباب من الخارج، وتأخذ المفتاح معها عندما تذهب للنَّوم. وقد نفَّذت ما طلبتهُ تماماً، ولولا تعاونها لما كان من الممكن أن تضع اليوم تلك الأوراق في جيب معطفك. حسناً لنتابع، لقد ذهبت هي وأطفأت النور وبقيتُ أنا قابعاً وسط شجيرات الورود. كانت المراقبة مُمِلَّةً جداً، مَشوبَةٌ بالإثارة، رغم أنَّ الجو كان لطيفاً. وبعد انتظار طويل جدَّاً، وعندما أصبحت السَّاعة الثَّانية صباحاً، سمِعتُ فجأةً صوتاً خفيفاً للسان قفل يُدفع إلى الخلف، وصوت صرير مفتاح. بعدها

بدقيقةٍ فُتح باب الخدم، وخرج السيد هاريسون إلى الخارج تحت ضوء القمر.



هتف فيليبس: جوزيف!

أكمل هولمز: لم يكن يضع شيئاً على رأسه، وكان مُرتدياً معطفاً أسوداً ليتمكَّن من إخفاءِ وجههِ في أي لحظةٍ يشعر فيها أنَّ هناك من رآه. سار على رؤوس أصابعه بجانب الجدار الخارجي للمنزل، وعندما وصل إلى نافذة غرفتك، أدخل سكيناً بين شقي أو درفتي النافذة فدفع المزلاج إلى الأعلى وفتحها.

كنتُ بموقع ممتاز لأرى كل شيء داخل الغرفة، وساعدني هو بذلك عندما أضاء شمعتين فوق رف المدفأة. بعد ذلك قام برفع زاوية السّجادة الموجودة على الأرض من جهة النَّافذة، ثمَّ انتزع قطعةً خشبيَّة من أرضية الغرفة. كانت القطعة الخشبيَّة مثل تلك التي يتركها أصحاب البيت من أجل صيانة التَّمديدات الصحيَّة في المنزل؛ كأنابيب الماء أو الغاز.

ومن المكان الذي كانت تُغطّيه القطعة الخشبية، أخرجَ لُفافةً من الورق، ثمَّ أعاد القطعة إلى مكانها، وأعاد السّجادة إلى سابق عهدها، ثم أطفأ الشَّمعتين وخرج باتِّجاهي مباشرةً حيث كنت أنتظره خارج النَّافذة.

حسناً، يبدو أنَّ السَّيد جوزيف كان شريراً أكثر مما اعتقدتُ، فقد هاجمني بسكينه، فاضطررتُ إلى ضربه وإلقائه على العشب مرَّتين، لكنَّه تمكَّن من جرحي عند مفاصل أصابعي قبل أن أتمكَّن منه.

كانت عينه الوحيدة السَّليمة بعد العراك ما زالت تلتمع بالشَّر، لكنَّه أصبح منطقياً في نهاية المطاف وتخلَّى عن الأوراق، وعندما حصلتُ عليها تركتهُ يَذهَب. لكنِّي أرسلتُ أوصافه الكاملة إلى

فوربس هذا الصَّباح، فإذا كان سريعاً بما يكفي سيتمكَّنُ من إلقاء القبض عليه، كمن يصطادُ عصفوراً في عُشِّه. أمَّا إذا تأخَّر فسيجد العصفور قد طارَ من العشّ وهذا ما أتوقَّعه، فسيكون ذلك في مصلحة الحكومة.

أنا أعتقد أنَّ اللُّورد هولد هورست من ناحية، والسَّيد بيرسي فيليبس من ناحيةٍ أُخرى يُفضِّلان أن لا يصل الأمر إلى القضاء أو يتم الإعلان عنه.

شهق عميلنا قائلاً: يا إلهي! هل تعني أنَّ الأوراق المسروقة كانت موجودةٌ في نفس الغرفة الَّتي كنتُ أتعذَّب فيها طوال الأسابيع العشرة الطَّويلة؟ كل هذا الوقت؟!

- لقد كان الأمر كذلك.

- وجوزيف... جوزيف شريرٌ وسارق؟!

- أخشى أنَّ شخصيَّة جوزيف أعمق وأكثر خطورةً ممّا قد نحكم به عليه من خلال مظهرِهِ، وقد فهمتُ من كلامه هذا الصَّباح أنَّه غارقٌ في المُراهنات في البورصة، وأنَّه مستعدٌ للقيام بأي شيءٍ ليتمكَّن من تحسين وضعه، ولأنَّه شخصٌ شديد الأنانيَّة فقد استغلَّ الفرصة التي سنحت له ولم يردعه حرصه على سعادة أخته أو سمعتك أنت.

غرق بيرسي في كرسيه وقال: إنَّ رأسي يدور، لقد صدمتني بما جئتَ به.

علّق هولمز بأسلوبه التَّعليمي قائلاً: كانت الصُّعوبة الرَّئيسيَّة في قضيَّتك تكمن في حقيقة وجود الكثير من الأدلَّة، لكنَّ الأدلَّة الصَّحيحة تمَّ طمسها بأدلةٍ لا علاقة لها بالأمر.

فمن بين جميع الحقائق التي وضعت في طريقنا اخترتُ منها تلك التي اعتقدتُ أنَّها أساسيَّة، ثمَّ رتَّبتُها معاً بنظامٍ مُحكَمٍ حتَّى أُعيد بناء القصَّة بشكلٍ متكاملٍ. لقد بدأتُ أشكُّ بجوزيف فعليّاً حين عرفتُ حقيقة أنَّكَ كُنتَ تنوي السَّفر معه يوم سُرقت الأوراق.

لقد كان من الطَّبيعي أن يمرَّ بك في وزارة الخارجيَّة بطريقهِ إلى المحطَّة، لأنَّه يعرف مبنى الوزارة بشكلٍ جيِّد، لذلك شككتُ به. وزادت شكوكي به عندما عَرَفتُ أنَّ هناك شخصٌ مُتلهِّفٌ جدّاً لدخول غرفتكَ.

ولا تنسى أنَّك قلتَ لنا من قبل أنَّك طلبتَ من جوزيف الخروج من نفس الغرفة عندما جئتَ مع الطَّبيب، وعندها تأكَّدتُ من شكوكي، لاسيَّما أنَّ محاولة اقتحام الغرفة كانت في أول ليلة غابت فيها المُمرضة اللَّيليَّة عن الغرفة، وهذا يدلُّ على أنَّ المتسلِّل كان يعرف كل ما يدور في المنزل.

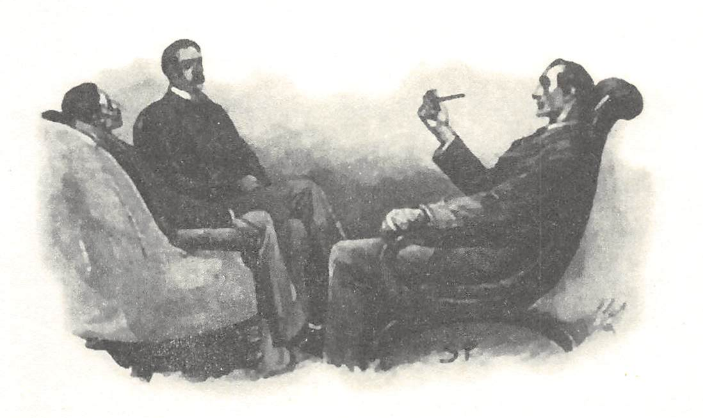
- آه، كم كنتُ أعمى.

استطرد هولمز قائلاً: إنَّ حقائق القصَّة كما فهمتها؛ هي أنَّ جوزيف هاريسون دخل إلى مبنى الوزارة عبر الباب المطل على شارع تشارلز، ولأنَّه يعرف الطَّريق داخل المبنى فقد توجَّه مباشرةً إلى غرفَتِكَ بعد لحظاتٍ من مغادرتِكَ لها، وعندما لم يجد أحداً هُناك سارع لرن الجرس، وفي نفس اللَّحظة وقعت عيناهُ على الأوراق فوق المكتب، واكتشف أنَّ المصادفة وضعت بطريقه وثيقةً رسميةً لا تُقدَّرُ بثمنٍ، فدسَّها في جيبه وانطلقَ مُسرعاً، ثمَّ انقضت دقائقُ قليلة، كما تذكر، قبل أن يُنبهُكَ الحاجب إلى الجرس، وكانت تلك الفترة القصيرة كافية حتى يتمكَّن السَّارق من الفرار.

اتَّجه جوزيف إلى المحطَّة، واستقلَّ أول قطار إلى ووكنغ، وبعد أن تفحَّص غنيمتهُ، وتأكَّد أنَّها ذات قيمة كبيرة بالفعل، قام بإخفائها في مكان اعتقد أنَّهُ آمنٌ جدَّاً، وكان ينوي إخراجها خلال يوم أو اثنين، ليحملها إلى السَّفارة الفرنسيَّة أو الروسيَّة أو أي جهةٍ يُمكنً أن تمنحهُ سعراً كبيراً مقابلها.

لكنَّ عودتك المفاجئة، ومرضك تسبَّبت بخروجه من غرفته على الفور، ومنذ ذلكَ الوقت بقيت الغرفة مشغولةً بكَ وبالآنسة هاريسون وبالممرضة، طوال الأربع وعشرين ساعةً في اليوم ما منعه من استعادة الأوراق.

لا بدَّ أنَّ الموقف كان عصيباً عليه، وعندما وجد فرصته أخيراً، حاول اقتناصها، لكنَّكَ فوَّت الفرصة عليه باستيقاظك.



هـل تذكـر أنَّـك لم تتنـاول جرعتـك المعتـادة مـن الـدَّواء المُنـوِّم في تلك اللَّيلة؟

- أذكر.

- أعتقـد أنَّـه قـد تدبَّـر الأمـر، لجعـل تلـك الجرعـة فعَّالـة واعتمد تمامـاً على أنَّك سـتكون مسـتغرقٌ في نـوم عميقٍ، أقرب لفقـدان الوعـي، حتَّـى يتمكَّـن مـن تكـرار المحاولة، وقـدً أدركت أنـا بالطَّبع أنَّه سـيُعيدُ الكرَّة حالما تسنح له الفرصة المناسبة.

كانـت مغادرتـك هـي الفرصـة التـي طالمـا انتظرهـا، لهـذا عملتُ عـلى إبقـاء الآنسـة هاريسـون في الغرفـةِ طـوال اليـوم، كـي لا يتسـلَّل إليها في النَّهار قبلَ أن أتمكَّن من العودة وضبطه.

بعـد ذلـك جعلتـه يعتقد أنَّ دخـول الغرفة سـيكونُ آمنـاً، فيما كنتُ بانتظارهِ تحت النَّافذة كما أسلفت.

كنـتُ أعـرف أنَّ الأوراق موجـودةٌ في الغرفة عـلى الأرجح، لكنِّي لم أرغب بإتلاف خشـب الأرضيـات والجـدران بحثاً عنها، لذلـك تركتُهُ يقوم بالعمل الشَّاق ويخرجها من حيث أخفاها.

هل تبحثون عن إجابةٍ لأي سؤالٍ آخر؟

- سـأل بـيرسي قائـلاً: لمـاذا حـاول الدُّخـول مـن النَّافـذة في المـرَّةِ الأولى، في حين أنَّه كان يستطيع الدُّخول من الباب؟

- يجـب أن يجتـاز سـبع غـرف نـوم حتَّـى يصـل إلى بـاب غرفتك، ومـن جانـبٍ آخـر كان يسـتطيع الفَرار عـبر المرج العشـبي بسـهولةٍ إذا حدث شيء. هل لديكم أي تساؤل آخر؟

فسـأل فيليبـس: ألا تعتقد أنَّ السـكين كان مجـرَّد أداة لفتـح النَّافذة،

وأنَّه لم يكن ينوي القتل؟

أجابه هولمز وهو يهز كتفيه: هذا جائزٌ، لكن ما أنا متأكدٌ منه هو أنَّ السيد جوزيف هاريسون شخصٌ لا يمكن الوثوق به.

• انتهى •